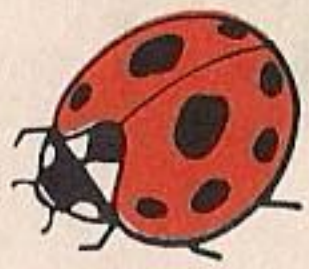

الحضارات الكبرى

القايكنج

عمر حمدي
طولكرم
الرقم
التاريخ - ٢٠١٢

المَواطِن التي نَزلَ فيهَا القَايْكنجْز

تَسْتَدْعِي لَفْظَةُ ٱلفايْكِنْجز إلى أَذهانِنا صُوَرَ ٱلسُّفُنِ ٱلسَّرِيعَةِ ٱلمُثِيرَةِ ورِجالِ ٱلبَحْرِ ٱلشَّرِسينَ ٱلمُتَغَطْرِسينَ . وَيَرْوي هٰذا ٱلكِتابُ قِصَّةَ هٰؤلاءِ ٱلفايْكِنْجز ٱلَّذينَ وَصَلوا بِسُفُنِهِمِ ٱلبَدِيعَةِ إلى أَقْصى حُدودِ ٱلعالَمِ ٱلمَعْروف آنَذاكَ هازِئينَ بالصُّعوباتِ وٱلمَشَقَّاتِ .

كانُوا حَيْثُما حَلُّوا تُجّاراً يُسْتَقْبَلُونَ بِالتَّرْحابِ ، غَيْرَ أَنَّ ٱلنَّاسَ كانوا إِذا رَأَوا سُفُنَهُمُ ٱلحَرْبِيَّةَ يُدْرِكونَ أَنَّهُمْ قادِمونَ لِلسَّلْبِ وٱلنَّهْبِ ، فَيَفِرُّونَ مِنْ وُجُوهِهِم مُرْتاعينَ خائِفينَ .

وٱلفايْكِنجز مِنَ ٱلشُّعوبِ ٱلقَدِيمَةِ ٱلمَيَّالَةِ لِلْقِتالِ ، لِذٰلِكَ نراهُمْ يَتَصَرَّفُونَ تَصَرُّفاتٍ تَخْتَلِفُ عَمّا نَعْمَلُ بِهِ ٱلْيَوْمَ ، وَيُؤْمِنونَ بِمُعْتَقَداتٍ غَريبَةٍ . وَلٰكِنَّ أَثَرَهُمْ في ٱلتّاريخِ كَبيرٌ ، وَحُبَّهُمْ لِلْمُغامَرَةِ وَالٱسْتِكْشافِ أَمْرٌ يُثيرُ ٱلدَّهْشَةَ ، فَالتَّعَرُّفُ عَلَيْهِمْ هوَ جُزْءٌ من ٱلتَّعَرُّفِ على ٱلماضي ، وفَهْمِ تَطَوُّرِهِ وَتَبْيانِ عَلاقَةِ أَخْلاقِ ٱلنَّاسِ وَمَجْرَى حَياتِهِمْ بالبِيئَةِ ٱلتي يَعيشونَ فيها .

© حُقوق الطبْع محفوظة
طُبِع في انكلترا
١٩٧٩

عمر احمد سمور
طولكرم
الرقم
التاريخ ٢٨-١-٨٤

الحضارات الكبرى

الڤايْكِنْجز

تأليف : بِرِنْدا لويس
وضع الرسوم : رونالد جاكسون
نقله الى العربية : الدكتور ألبير مُطْلق

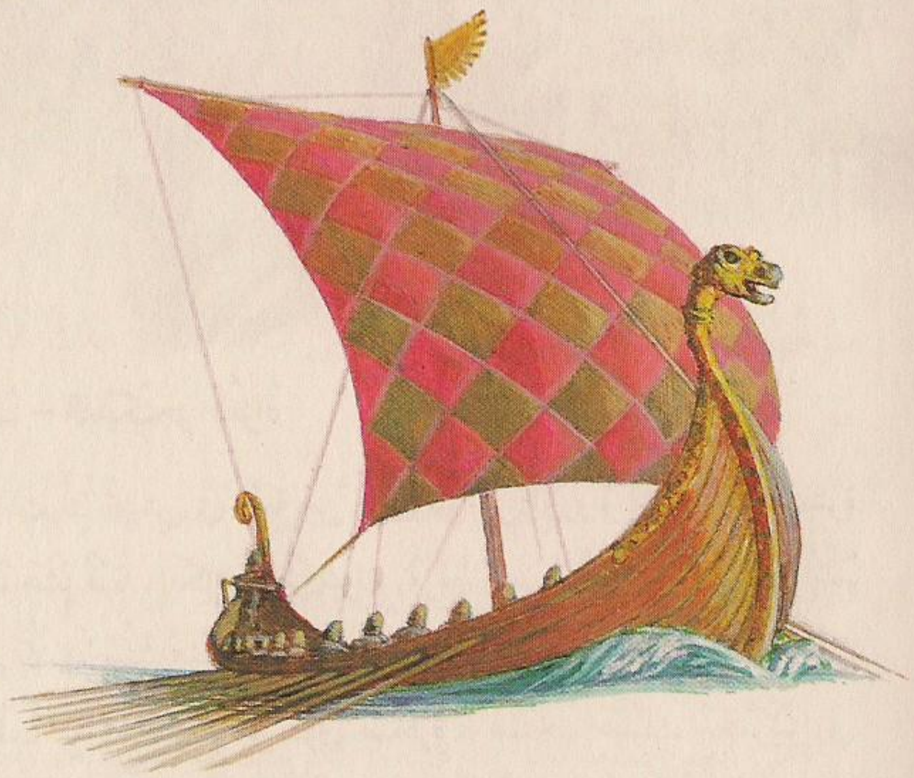

الناشرون :

مكتبة لبنان
بيروت

ليديبِرْد بُوك يمتد
لافبورو

لونغمان
هارلو

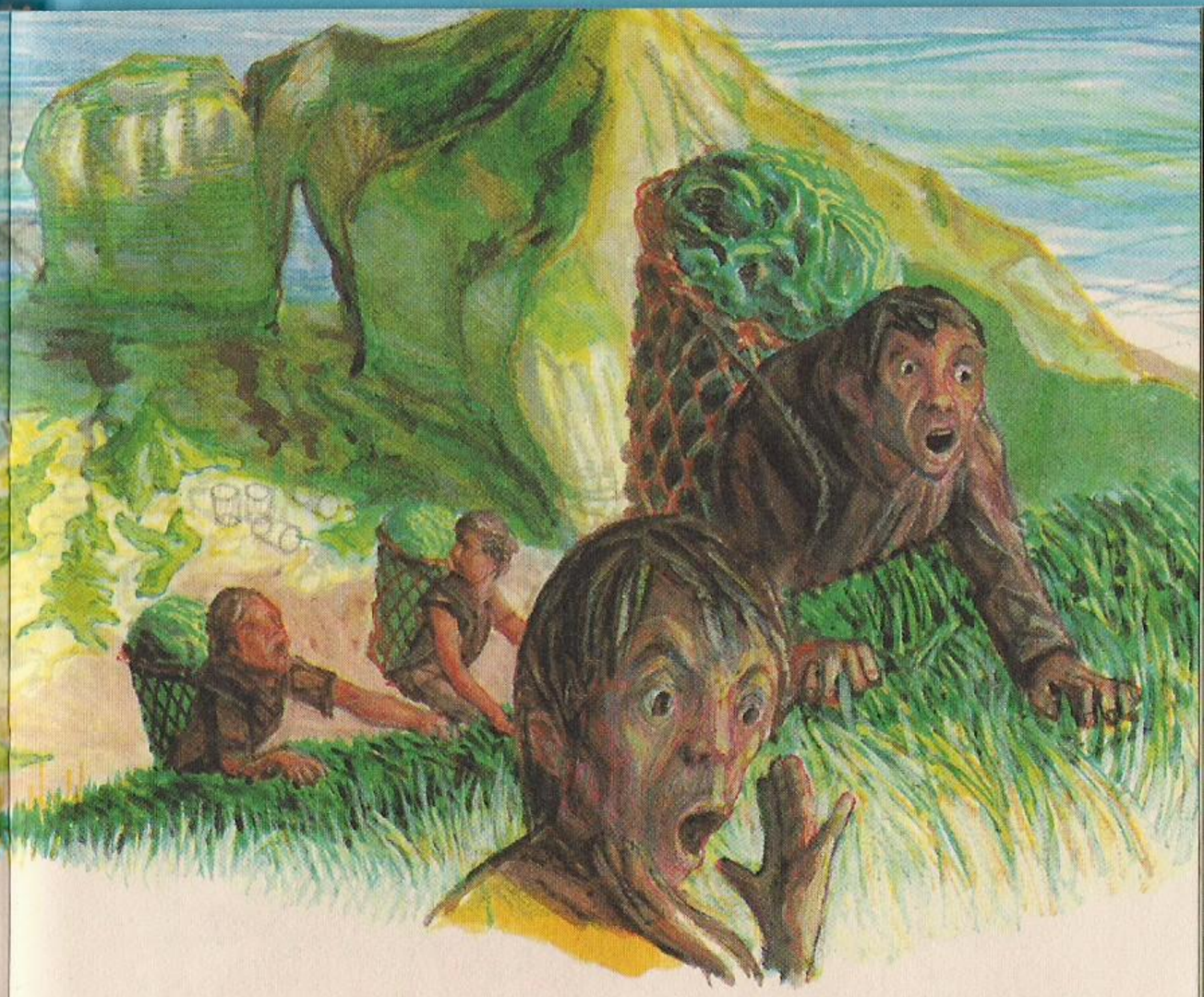

القِسْمُ ٱلأَوَّلُ – الفايْكِنْجز ٱلغُزاةُ

لَوْ قُدِّرَ لَكَ أَنْ تَعِيشَ في قَرْيَةٍ مِنْ قُرى سَواحِلِ أُوروبةَ ٱلشَّمالِيَّةِ قَبْلَ عَشَرَةِ قُرونٍ أَوْ أَحَدَ عَشَرَ قَرْناً ، لَكانَ مَنْظَرُ شِراعٍ مُرَبَّعٍ كَبيرٍ يَخْطُرُ في ٱلأُفُقِ هو أَشَدَّ ٱلمَناظِرِ ٱلَّتي كُنْتَ سَتُشاهِدُها في حَياتِكَ هَوْلاً . ولْتَتَخَيَّلْ نَفْسَكَ واقِفاً على ٱلشَّاطِئِ تُراقِبُ ذٰلِكَ ٱلشِّراعَ مِنْ فَوْقِ صَخْرَةٍ ، فَسَتَجِدُ عَيْنَيْكَ مُسَمَّرَتَيْنِ في هَيْكَلِ ٱلسَّفِينَةِ ٱلحَرْبِيَّةِ ٱلرَّشيقَةِ ٱلطَّويلَةِ ، وَهِيَ تَتَوَضَّحُ شَيْئاً فَشَيْئاً تَحْتَ ذٰلِكَ ٱلشِّراعِ . وَقَدْ يَزيدُ مِنْ رَهْبَةِ ٱلمَنْظَرِ تَلأْلُؤُ أَشِعَّةِ ٱلشَّمْسِ على جانِبَيِ ٱلسَّفينَةِ ٱلمُتَقَدِّمَةِ . وَحينَ تَتَبَيَّنُ وُجوهَ ٱلمحارِبينَ ٱلأَشِدَّاءِ ٱلقُساةِ يَحْمِلونَ رِماحَهُمْ وسُيُوفَهُمْ وفُؤُوسَهُم وَيَجْلِسونَ في ٱلسَّفينَةِ مُنْتَظِرينَ ، فإنَّكَ تَجْري في هَلَعٍ

إِحْدَى غَزَواتِ ٱلفايْكِنْجز

مُتَوَجِّهاً إلى قَرْيَتِكَ بِأَقْصَى ما تَسْتَطِيعُ مِنْ سُرْعَةٍ حامِلاً مَعَكَ ٱلأَنْباءَ ٱلرَّهيبَةَ عَنْ وُصولِ غُزاةِ ٱلفايْكِنْجز ٱلمُرْعِبينَ .

وَسَيَمْلأُ ٱلرُّعْبُ ٱلقَرْيَةَ في لَحَظاتٍ ، وتَرى ٱلنَّاسَ يَصْرُخونَ وَيَسْتَغيثونَ ، وتَرى ٱلأُمَّهاتِ يَلْتَقِطْنَ أَوْلادَهُنَّ مُحاوِلاتٍ ٱلعُثورَ على مَخْبَإٍ ، وتَرى ٱلرِّجالَ يَتَخَطَّفُونَ أَسْلِحَتَهُمْ وَيَنْدَفِعُونَ إلى ٱلشَّاطِئِ آمِلينَ أَنْ يَرُدّوا ٱلغُزاةَ .

على أَنَّهُمْ جَميعاً كانوا يُدْرِكُونَ ما كانَ سَيَحِلُّ بِالْقَرْيَةِ بَعْدَ زَمَنٍ قَصيرٍ مِنْ بَدْءِ ٱلغَزْوِ . فَلَقَدْ تَناهَتْ إلى أَسْماعِ ٱلنَّاسِ قِصَصٌ مُرْعِبَةٌ عَنْ غُزاةِ ٱلفايْكِنْجز وَهُمْ يَهْجُمونَ بِشَراسَةٍ على ٱلمُسْتَوْطَناتِ وٱلقُرى فَيَقْتُلونَ كُلَّ مَنْ يَقِفُ في طَرِيقِهِمْ ، ويَسْلُبونَ كُلَّ ما يَجِدُونَ ، ويُحْرِقونَ ٱلبُيوتَ وٱلأَكْواخَ ، ويَسوقونَ مَعَهُمُ ٱلرَّقيقَ ، ثُمَّ يُغادِرونَ ٱلمَكانَ ، وَقَدْ خَلَّفوا وَراءَهُمُ ٱلدَّمارَ وٱلأَحْزانَ .

نَظَرَتِ ٱلشُّعوبُ ٱلأُوروبيَّةُ ٱلتي تَعَرَّضَتْ لِهَجَماتِ ٱلغُزاةِ، إلى الفايْكِنْجز نظْرَتَها إلى جَماعاتٍ مِنَ ٱلهَمَجِ ٱلقُساةِ ٱلمُتَعَطِّشينَ لِلدِّماءِ. ولَمْ يَكُنْ ذٰلِكَ مُسْتَغْرَباً في وَقْتٍ ٱشْتَدَّتْ فيهِ هَجَماتُ ٱلفايْكِنْجز على مَناطِقِ أوروبَّةَ في ٱلفَتْرَةِ ٱلواقِعَةِ بَيْنَ ٱلقَرْنَيْنِ ٱلثّامِنِ وٱلحادي عَشَرَ ٱلميلادِيَّيْنِ. وكانَ رِجالُ ٱلدِّينِ يَدَّعُونَ أَنَّ هٰذِهِ ٱلغَزَواتِ جاءَتْ تحْقِيقاً لِنبُوءَةٍ قَديمَةٍ مُخيفَةٍ.

فَلَقَدْ تَنَبَّأَ ٱلنَّبِيُّ إِرمْيا، بِحَسَبِ تَفْسيرِهِمْ، بِوُقُوعِ تِلْكَ ٱلغَزَواتِ حينَ قالَ: «مِنَ ٱلشَّمالِ يَنْفَتِحُ ٱلشَّرُّ على كُلِّ سُكّانِ ٱلأَرْضِ».

وٱلمَقْصُودُ بِـ«ٱلشَّمالِ» هُوَ ذٰلِكَ ٱلجانِبُ مِنَ ٱلقارَّةِ ٱلأوروبيّةِ ٱلذي كانَ

الفايْكِنْجز يَسْكُنونَهُ، وَهوَ ٱلجانِبُ ٱلذي يُعْرَفُ ٱليَوْمَ بِالبِلادِ الاِسْكَنْدِناڤيَّةِ ٱلواقِعَةِ شَمالِيّ أوروبةَ. وَلَمْ يَكُنْ ضَحايا غَزَواتِ ٱلفايكِنجز يَعْرِفونَ شَيْئاً عَنِ ٱلبِلادِ الاِسْكَنْدِناڤيَّةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ كانوا يَتَمَنَّونَ لَوْ أَنَّ ٱلغُزاةَ لازَموا ٱلأَرْضَ ٱلتي جاؤوا مِنها وَتَرَكوهُمْ يَعيشونَ في سَلامٍ. وَلَو كانَ لَهُمْ أَنْ يَعْلَموا شَيْئاً عَنِ ٱلبِلادِ ٱلتي جاءَ مِنْهَا ٱلغُزاةُ وَعَنْ أُسْلُوبِ حَياتِهِمْ فَلَرُبَّمَا كانوا فَهِمُوا سَبَبَ قَسْوَةِ ذٰلِكَ ٱلشَّعْبِ وَسَبَبَ حُبِّهِ ٱلعارِمِ ٱلقَوِيِّ لِلْقِتالِ، وَطاقَتِهِ الفَيَّاضَةِ، وَتَعَلُّقِهِ بِالمُغامَراتِ. فلا شَكَّ أَنَّ لِطَبيعَةِ ٱلبِلادِ وَنَمَطِ ٱلحَياةِ أَثَراً قَوِيّاً في أَخْلاقِ أَيِّ شَعْبٍ مِنَ ٱلشُّعُوبِ.

الفايْكِنْجز يُهاجِمُونَ إِحدَى ٱلقُرَى

لَمْ يَكُنْ في بِلادِ ٱسْكَنْدِناڤْيَةَ ، آنَذاك ، مَكانٌ لِلضُّعَفاءِ أَو ٱلجُبَناءِ أَو ٱلكَسالى ٱلخامِلينَ . كانتِ ٱلأَرْضُ قاسِيَةً جَرْداءَ وَالشِّتاءُ صَقيعاً قاتِماً ، لا تُشْرِقُ فيهِ الشَّمْسُ أَيّاماً مُتَتالِيَةً وأَحْياناً أَسابيعَ مُتَتابِعَةً . ولم تَكُنْ تُرْبَةُ ٱسْكَنْدِناڤْيَةَ خِصْبَةً ، فَكانَ على مُزارِعي ٱلفايْكِنْجز أَنْ يَعْمَلوا بِمَشَقَّةٍ عَظيمَةٍ لِيُنْتِجوا مَحاصيلَ ٱلشَّعيرِ وَٱلشُّوفانِ والكَتّانِ والجاوْدارِ وَٱلخُضَرِ وكانَ رُعاةُ ٱلفايْكِنْجز ، لِلأَسْبابِ نَفْسِها ، يُعانونَ ٱلمَشَقّاتِ في سبيلِ تأْمينِ مَراعٍ صالِحَةٍ لِقُطْعانِ ٱلماشِيَةِ . وكانتِ ٱلمِياهُ ٱلجَليدِيَّةُ ٱلمُحيطَةُ بِالبِلادِ ، شأْنُها شأْنُ الأَرْضِ ، تَخْلُقُ ٱلصُّعوباتِ في وَجْهِ ٱلمُواطِنينَ . ولِذا كانَتِ ٱلخُشُونَةُ ضَرورَةَ حَياةٍ ، وٱلحُصُولُ على ٱلغِذاءِ ٱليَوْمِيِّ وَحْدَهُ كانَ كافِياً لِتَعْريضِ ٱلإِنْسانِ لِلْمَهالِكِ .

وكانَ ٱلفايْكِنجز يَصْطادونَ أَنْواعاً مِنَ ٱلأَيائِلِ وٱلوُعولِ ، وٱلدِّبابَ البَرِّيَّةَ لِيَتَّخِذُوا مِنْ لَحْمِها غِذاءً ومِنْ جُلودِها وَفِرائِها كِساءً ولِباساً . وكانَ صَيَّادو ٱلأَسْماكِ يُواجِهُونَ مَخاطِرَ مشابِهَةً في مُصارَعَةِ ٱلحيتانِ ٱلضَّخْمَةِ ومُطارَدَتِها وحَصْرِها في ٱلخُلْجانِ ٱلصَّغيرَةِ ثُمَّ زَرْقِها بِٱلرِّماحِ . لقد كانتْ حَرَكَةٌ واحِدَةٌ مِنْ جِسْمِ ٱلحوتِ أَوْ ضَرْبَةٌ خاطِفَةٌ مِنْ ذَيْلِهِ ٱلهائِلِ كافِيَةً لِتَحْطيمِ سَفينَةِ ٱلصَّيْدِ ٱلمُخاطِرَةِ . ولَمْ يَكُنِ ٱلصَّيَّادونَ يَسْعَونَ وَراءَ ٱلحيتانِ وَحْدَها في ٱلبَحْرِ ، وإِنَّما كانوا يَصْطادونَ كَذٰلِكَ أَنْواعاً مِنَ ٱلسَّمَكِ وَطُيورِ ٱلبِحارِ .

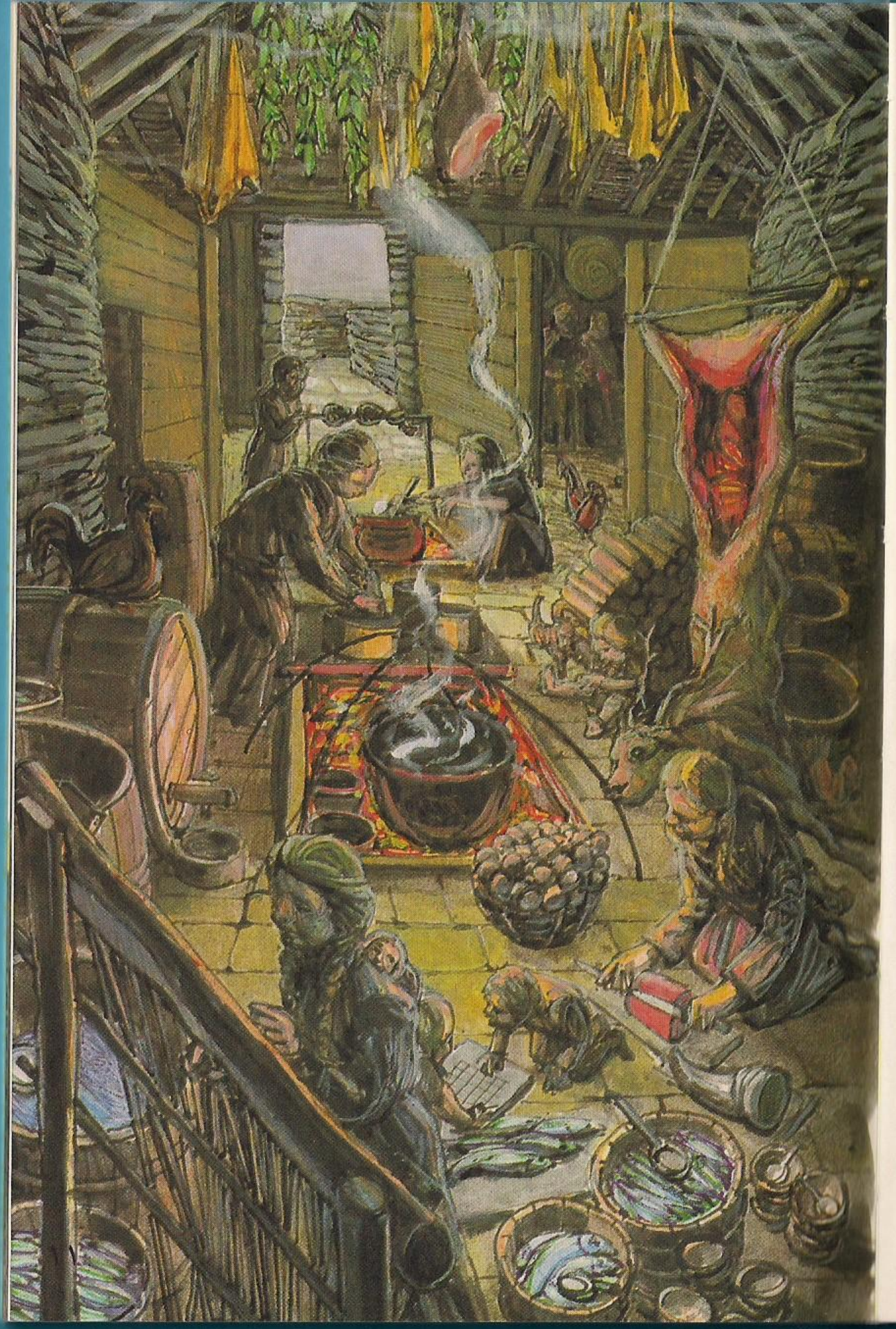

اتَّخذَ ٱلفايْكِنْجز، كما رَأَيْنا، مِنْ جُلودِ ٱلأَيائِلِ وٱلوُعولِ وفِراءِ الدِّبابِ البَرِّيَّةِ وسِواها مِنَ ٱلحَيَواناتِ، كِساءً ولِباساً، فَصَنَعوا مِنْها عَباءاتٍ وأَصنافاً أُخْرَى مِنَ الثِّيابِ، وأَحْذِيَةً وأَغْطِيَةً لِلرأْسِ تَقيهِمْ وَتَحْفَظُهُمْ في زَمَنِ ٱلشِّتاءِ ٱلقارِسِ. كذٰلِكَ ٱسْتَخْدَمَ ٱلفايْكِنْجز زَيْتَ ٱلحيتانِ وٱلحَيَواناتِ ٱلبَحْرِيَّةِ ٱلأُخْرَى وَقوداً لِمَصابيحِهِم، وٱسْتَخْدَمُوا قَرْنَ ٱلوَعْلِ وٱلأَيِّلِ وأَنْيابَ الفُقْمَةِ ٱلبَحْرِيَّةِ لِيَصْنَعُوا أَمْشاطاً وَمَقابِضَ سَكاكينَ ودَواليبَ مَغازِلَ.

كان ٱلمِغْزَلُ عِنْدَهُمْ أَداةً عَظيمَةَ ٱلفائِدَةِ، فَقَدِ ٱسْتَخْدَمَتْهُ ٱلنِّساءُ في غَزْلِ ٱلخُيُوطِ ٱلَّتي يَنْسُجُ ٱلقَوْمُ مِنْها ثِيابَهُمْ وَبَطَّانِيَّاتِهِمْ وأَرْبِطَتَهُمْ وَبُسُطَهُمْ. لَقَدْ تَعَوَّدَتِ ٱلمَرْأَةُ مِنْهُمْ، كما تَعَوَّدَ ٱلرَّجُلُ، على ٱلعَمَلِ ٱلشَّاقِّ، وبِخاصَّةٍ في أَشْغالِ ٱلمَطْبَخِ. أَدواتُهم كانتْ بدائِيَّةً، فاذا أرادَتِ ٱمْرَأَةٌ، على سَبيلِ ٱلمِثالِ، أَنْ تُهَيِّئَ حَساءً أَوْ يَخْنَةً كانَ عَلَيها أَنْ تَقِفَ طويلاً وَهيَ تُحرِّكُ ٱلسَّائِلَ في قِدْرٍ عَظيمَةٍ يَتَصاعَدُ منها ٱلبُخارُ. أَمَّا إِعْدادُ ٱللُّحومِ فقد كان يَتَطَلَّبُ بَرْمَ أَسْياخِ ٱللَّحْمِ ٱلمَنْصوبَةِ فَوْقَ نارٍ عَظيمَةٍ. وَتَعَوَّدَتِ ٱلنِّسْوَةُ ٱسْتِخْدامَ طَواحينِ الحَجَرِ ٱلَيَدَوِيَّةِ لِطَحْنِ ٱلحُبُوبِ، ثم خَبْزَ ٱلدَّقيقِ في أَوْعِيَةٍ واسِعَةٍ. أمّا ٱلزُّبْدَةُ والجُبْنُ فَقَدِ ٱسْتَحْصَلُوا عليهما مِنْ مَخْضِ حَليبِ ٱلبَقَرِ أَو ٱلماعِزِ، وٱسْتَحْصَلُوا على ٱلمِلْحِ من أَعْشابِ ٱلبَحْرِ أو من ماءِ ٱلبَحْرِ بالتَّبْخيرِ.

وأَهَمِّيَّةُ ٱلمِلْحِ عِنْدَهُمْ نابِعَةٌ مِنْ حاجَةِ ٱلنِّسْوَةِ إِلَيهِ لِحِفْظِ أَنْواعِ ٱلطَّعامِ، مِنْ سَمَكٍ ولُحومٍ وزُبْدَةٍ وجُبْنٍ، إلى أَيَّامِ ٱلشِّتاءِ. وكانوا يَلْجَأونَ إلى وَسيلَةٍ أُخْرَى يَحْفَظُونَ بها ٱلطَّعامَ، وتِلْكَ هي ٱسْتِخْدامُ أَنْواعِ ٱلبهاراتِ ٱلمَزْرُوعَةِ حَوْلَ بُيُوتِهِم، كالكَمّونِ وٱلخَرْدَلِ، أَوِ ٱلتَّوابِلِ ٱلتي كانَ تُجَّارُ ٱلفايْكِنْجز يَسْتَوْرِدونها مِنْ بِلادٍ آسِيَة.

اعداد الطَّعام

وإذا كانَ ٱلنَّاسُ خافوا ٱلفايْكِنْجز غُزاةً فقد كانوا يُرَحِّبونَ بِهِمْ تُجَّاراً يَتَنَقَّلونَ بِبَضائِعِهِمْ بَيْنَ مَوْطِنِهِمْ وَبَيْنَ بحرِ قَزوينَ وٱلبَحْرِ ٱلأَسْوَدِ. وَلم يَكُنْ مَرْأى سُفُنِهِمِ ٱلتِّجارِيَّةِ مُقْبِلَةً إلى ٱلشَّاطِئِ يُثيرُ أَدْنى ذُعْرٍ.

وقد لَجَأَ ٱلعَديدُ من تُجَّارِ ٱلفايْكنجز إلى ظهورِ ٱلخَيْلِ يَسْتَخْدِمونَها في تَنَقُّلاتِهِمْ، كما لَجَأَ بَعْضُهُمْ إلى عَرَباتٍ تَجُرُّها ٱلخيُولُ. أَمَّا في ٱلشِّتاءِ على ٱلطُّرُقاتِ ٱلجليديَّةِ فقد كانوا يَسْتَخْدِمونَ ٱلزَّلاجاتِ.

لقد تَمَيَّزَتْ سُفُنُ ٱلفايْكِنْجز ٱلتِّجارِيَّةُ عن سُفُنِهِمِ ٱلحَرْبِيَّةِ ٱلرَّشيقَةِ ٱلرَّهيبةِ

بألْواحِها ٱلسَّميكَةِ ٱلثَّقيلَةِ وَعَرْضِها ٱلشَّاسِعِ. وكانَ ظُهُورُها لِلنَّاظرينَ يَعْني وُصُولَ بَضائِعِ ٱلتَّرَفِ ٱلمثيرَةِ. فٱلفايْكِنجز آتونَ للمُبادَلَةِ لا لِلْمُنازَلَةِ!

حَمَلَ تُجَّارُ ٱلفايْكِنجز إلى روسيّة ٱلفِراءَ والرَّقيقَ والجُلُودَ، وٱسْتَبْدَلُوا بها ٱلنُّقُودَ ٱلفِضِّيَّةَ وٱلحَريرَ وٱلتَّوابِلَ وٱلمُجَوْهَراتِ وٱلشَّرابَ. أَمَّا إلى أَقْطارِ أوروبّة ٱلأُخْرى فقد حَمَلوا ٱلفِراءَ وٱلسَّمَكَ ٱلمُقَدَّدَ وريشَ ٱلطُّيُورِ وٱلحبالَ ٱلمَصْنُوعَةَ من جِلْدِ ٱلفُقْمَةِ وَبَضائِعَ غَيْرَها، وٱسْتَبْدَلُوا بها أَدَواتِ ٱلفَخّارِ وٱلزُّجاجيَّاتِ وٱلرَّقيقَ ونِصالَ ٱلسُّيُوفِ ونَسيجَ ٱلكتّانِ وٱلمُجَوْهَراتِ. وكانت سُفُنُ تُجَّارِ ٱلفايْكِنْجز ٱلمُسالِمة وٱلمُحَمَّلَةُ بالبَضائِعِ ٱلثَّمينَةِ تَسْتَهْوي ٱلقَراصِنَةَ فيُكْثِرُونَ من ٱلإغارَةِ عليها.

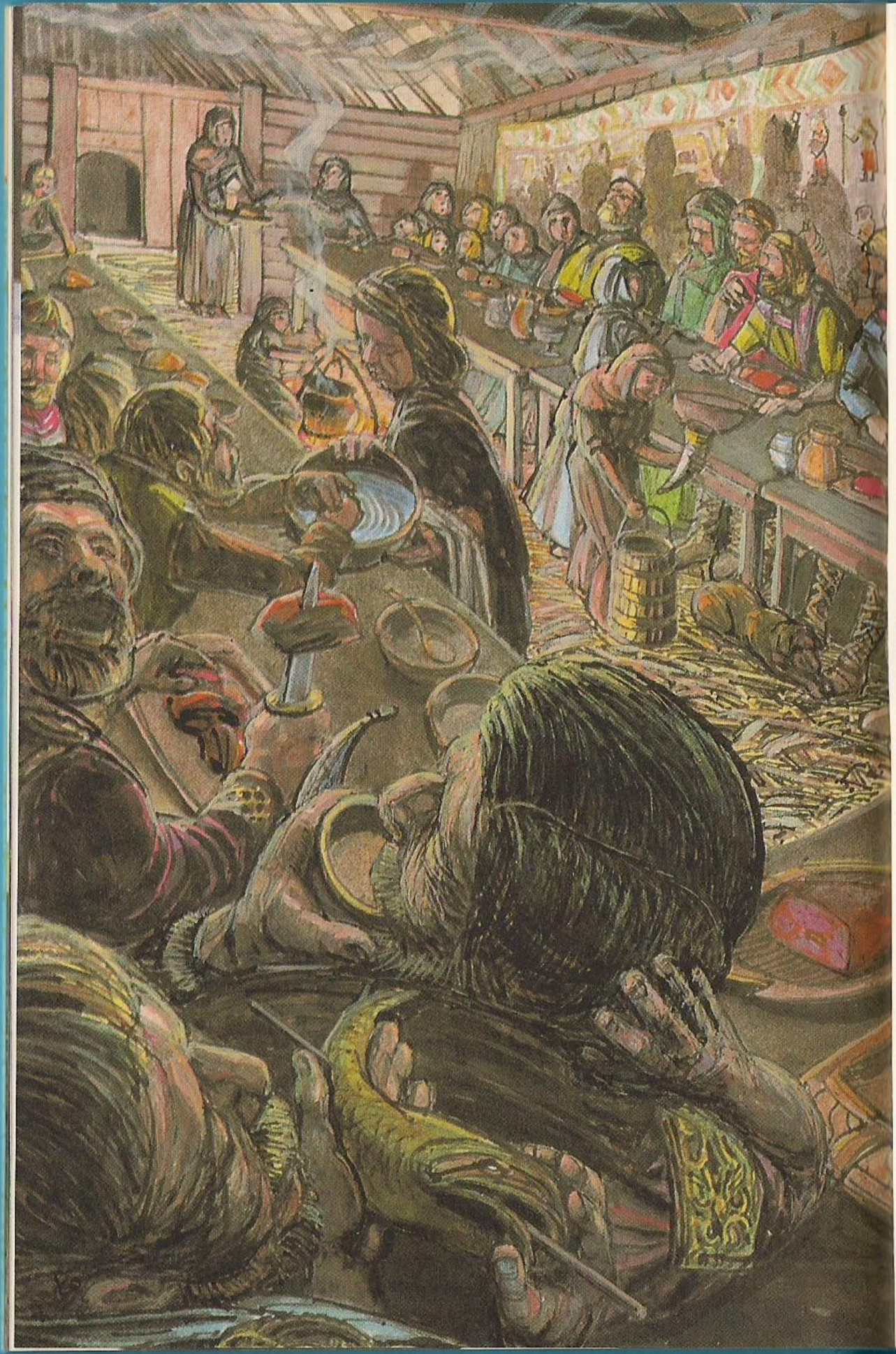

كان من عادَةِ تُجَّارِ ٱلفايْكِنجز أنْ يَحْمِلوا مَعَهُمْ إلى بِلادِهِمْ بَضائِعَ تُناسِبُ حياةَ ٱلتَّرَفِ كالذَّهَبِ ومَصْنوعاتِ ٱلفِضَّةِ وَقِطَعِ ٱلنُّقُودِ وٱلمُجَوْهَراتِ وٱلْحُلَى ٱلمُزَخْرَفَةِ وٱلحَرِيرِ وكَمِّيّاتٍ كبيرةً مِنَ الشَّرابِ ٱلمُسْتَوْرَدِ القَوِيِّ. وكان سُكّانُ ٱلبِلادِ يَتَلَقَّونَ هٰذِهِ ٱلبَضائِعَ بالتَّرْحابِ، ذٰلِكَ أَنَّهُمْ كانوا يَتَعَشَّقونَ ٱلثِّيابَ ٱلبَدِيعَةَ ٱلزَّاهِيَةَ وٱلمُجَوْهَراتِ ٱلرَّائِعَةَ. وقد دَأَبَ فَنَّانو ٱلفايْكِنجز أَنْفُسُهُمْ على صُنْعِ ٱلحُلَى وٱلزَّخارِفِ، كأَساوِرِ ٱلمِعْصَمَينِ وأَساوِرِ ٱلزَّنْدَينِ (الدَّمالِج) وَقَلائِدِ ٱلعُنُقِ وٱلصُّوَرِ المَنْقُوشَةِ على ٱلحَجَرِ والبُسُطِ وأَنْواعِ زَخارِفِ ٱلحَفْرِ. كانَ مِثْلُ هٰذا ٱلنَّوْعِ مِنَ ٱلتَّرَفِ، ٱلمُسْتَوْرَدِ مِنْهُ وٱلمَصْنوعِ مَحَلِّيّاً، يُبْهِجُ حَياةَ ٱلفايْكِنْجز ٱليَوْمِيَّةَ. فإنَّهُ وإنْ كانتْ بِلادُهُمْ جَرْداءَ قاسِيَةً فلقد كانوا هُمْ أَنْفُسُهُمْ بَعيدينَ عَنِ ٱلكآبَةِ يَبْتَهِجونَ أَعْظَمَ الابتِهاجِ بِالثِّيابِ ٱلفاخِرَةِ وأَدَواتِ ٱلزِّينَةِ ٱلتي يَتَقَلَّدونَها في حَفَلاتِهِمْ وَمَآدِبِ طَعامِهِمِ ٱلفاخِرَةِ.

كانوا يُزَيِّنونَ قاعاتِ ٱلاحْتِفالاتِ ٱلواسِعَةَ ٱلطَّويلَةَ بِالبُسُطِ ٱلمُطَرَّزَةِ وبِسَجَّادِ ٱلزِّينَةِ المتدلِّي مِنَ ٱلجُدْرانِ ٱلخَشَبِيَّةِ. وكانَتْ طاوِلاتُ ٱلطَّعامِ حافِلَةً بِأَنْواعِ ٱلطّاساتِ ٱلمَعْدِنِيَّةِ والسَّكاكينِ وقُرونِ ٱلشَّرابِ ٱلمُجَوَّفَةِ وٱلأَطْباقِ ٱلكَبيرَةِ ٱلمُسْتَطيلَةِ وٱلمَلاعِقِ ٱلخَشَبِيَّةِ أَو ٱلمَصْنوعَةِ مِنْ قُرونِ ٱلحَيَوانِ وبِكَمِّيّاتٍ هائِلَةٍ مِنَ ٱلطَّعامِ وٱلشَّرابِ.

كانَ ٱلفايْكِنْجز يَسْتَمْتِعونَ أَعْظَمَ الاسْتِمْتاعِ بِمِثْلِ تِلْكَ ٱلحَفَلاتِ وٱلمَآدِبِ وَيَصْرِفُونَ ساعاتٍ في وَليمَتِهِمِ ٱلصَّاخِبَةِ يَشْرَبونَ ويُثَرْثِرُونَ وَيَتَبادَلُونَ ٱلنِّكاتِ وٱلأَسْمارَ. كانوا حينَذاكَ يَتَناوَلونَ كَمِّيّاتٍ كَبيرَةً مِنَ ٱلحَساءِ وٱلحَلْوَى وٱلجُبْنِ وٱلفاكِهَةِ وٱلخُبْزِ وأَنْواعاً مِنَ ٱللحُومِ وٱلأَسْماكِ وٱلشَّرابِ، كُلُّ ذٰلِكَ في وَجْبَةٍ واحِدَةٍ.

الفايْكِنْجز يُقيمُونَ حَفْلَةَ طَعامٍ وشَرابٍ

رِياضاتُ ٱلشِّتاءِ

وَبَعْدَ ٱنْتِهاءِ مَأْدُبَةِ ٱلطَّعامِ كانَ ٱلفايْكِنْجز يُمَتِّعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِوَسائِلَ شَتّى. فَتَراهُمْ يَنْتَحونَ زاوِيَةً ويُمارِسُونَ أَلْعابَ ٱلنَّرْدِ أو ٱلدّاما أو ٱلشَّطْرَنْجِ. أو تَراهم يَسْتَرْخونَ على كَراسِيِّهِمْ يَنْظِمُونَ ٱلأَشْعارَ وٱلأَناشيدَ أو يَتَبادَلُونَ ٱلأَلْغازَ وٱلأَحاجيَّ. وقد تَراهم يُغَنّونَ وَيَرْقُصونَ ويَقومونَ بِأَعْمالِ ٱلشَّعْوَذَةِ وٱلخِفَّةِ، وَيَتَشَقْلَبُونَ وَيَتَصارَعُونَ. وقد يَأْتِي دَوْرُ المُهَرِّجينَ وٱلبَهْلَواناتِ ٱلذين كانوا يُلاقونَ قَبولاً وَتَرْحاباً.

وكانَ ٱلفايْكِنْجز يَتَعَشَّقونَ، كَذٰلِكَ، وَسائِلَ ٱلتَّسْلِيَةِ ٱلتي تَجْرِي في ٱلهَواءِ ٱلطَّلْقِ، كالتَّقاذُفِ بِكُراتِ ٱلثَّلْجِ، وٱلتَّزَلُّجِ بِأَنْواعِهِ، ومُشاهَدَةِ صِراعِ ٱلخَيْلِ، وَرُكُوبِ ٱلأَفْراسِ ٱلعارِيَةِ ٱلظُّهورِ.

فَرَسانِ يَتَصارَعانِ

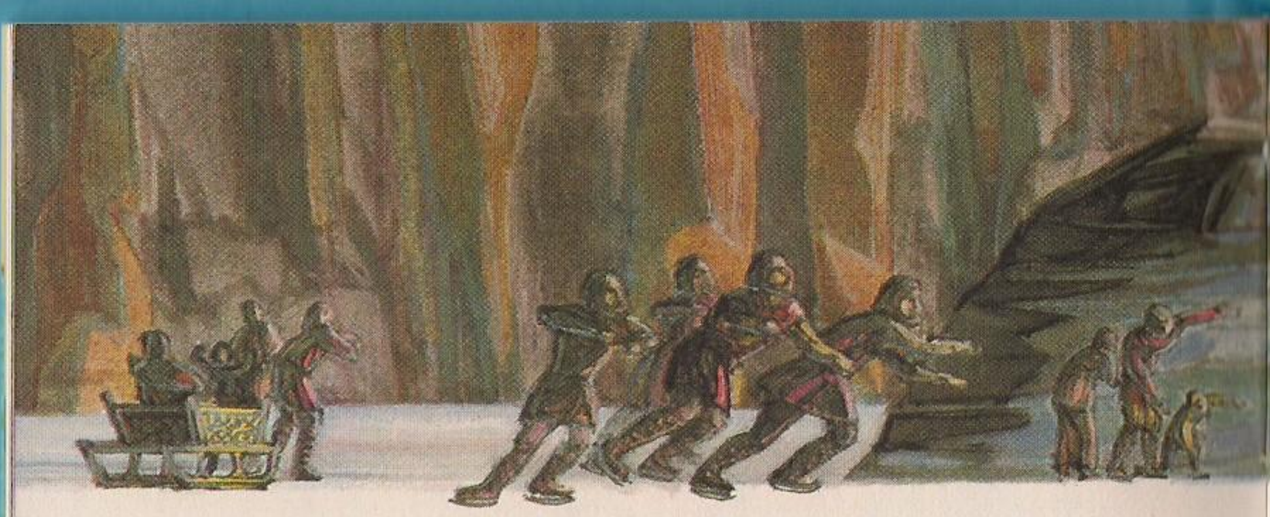

على أَنَّ أَكْثَرَ مَا كانوا يَميلونَ إليه ويُحِبُّونَهُ هو أَنْ يُنْصِتوا إلى شُعرائِهِمْ ورُواةِ أَخْبارِهم يَقُصّونَ أَخْبارَ ٱلبُطُولاتِ ٱلمُثيرَةِ وٱلمُغامَراتِ.

وَلَعَلَّكَ تَتَصَوَّرُ مَعي أَنَّ ٱلفايْكِنْجز كانوا يَطْلُبونَ مِنَ ٱلأَخْبارِ ما يَحْمِلُ إِليهِمْ قِصَصَ ٱلشَّجاعَةِ والأَبْطالِ ٱلأَقْوِياءِ ٱلذينَ ٱنْتَصَرُوا على ٱلمَخاطِرِ ٱلعَظِيمَةِ وقاموا بِالأَعْمالِ ٱلخارِقَةِ ٱلجَسيمَةِ. ولم يَكُنْ هٰؤلاءِ ٱلأَبْطالُ جَميعُهُمْ مِنْ صُنْعِ ٱلخَيالِ، فَبَعْضُهُمْ كانَ حَقيقِيّاً واقِعِيّاً، مِنْهُمْ، مَثَلاً، إِيْرل هاكون ٱلعَظيمُ ٱلذي غَزا بِلادَ ٱلنَّرويج في ٱلقَرْنِ ٱلعاشِرِ ٱلميلاديِّ، ومِنْهُمْ أيضاً إريك ٱلأَحْمَرُ ٱلذي أَنْشَأَ مُسْتَعْمَرَةً لِشَعْبِهِ في جَزيرَةِ جْرينْلانْد. وكثيراً ما كانَ أَبْطالُ أَقاصيصِهِمْ آلِهَتَهُمُ ٱلتي نَسَبوا إليها ٱلأَعْمالَ ٱلخارِقَةَ وٱلتي كانَتْ في ظَنِّهِمْ قادِرَةً على ٱجْتِراحِ ٱلبُطولاتِ وَأَلْوانٍ مُدْهِشَةٍ من ٱلسِّحرِ وٱلأَعاجيبِ.

المُصارَعَةُ

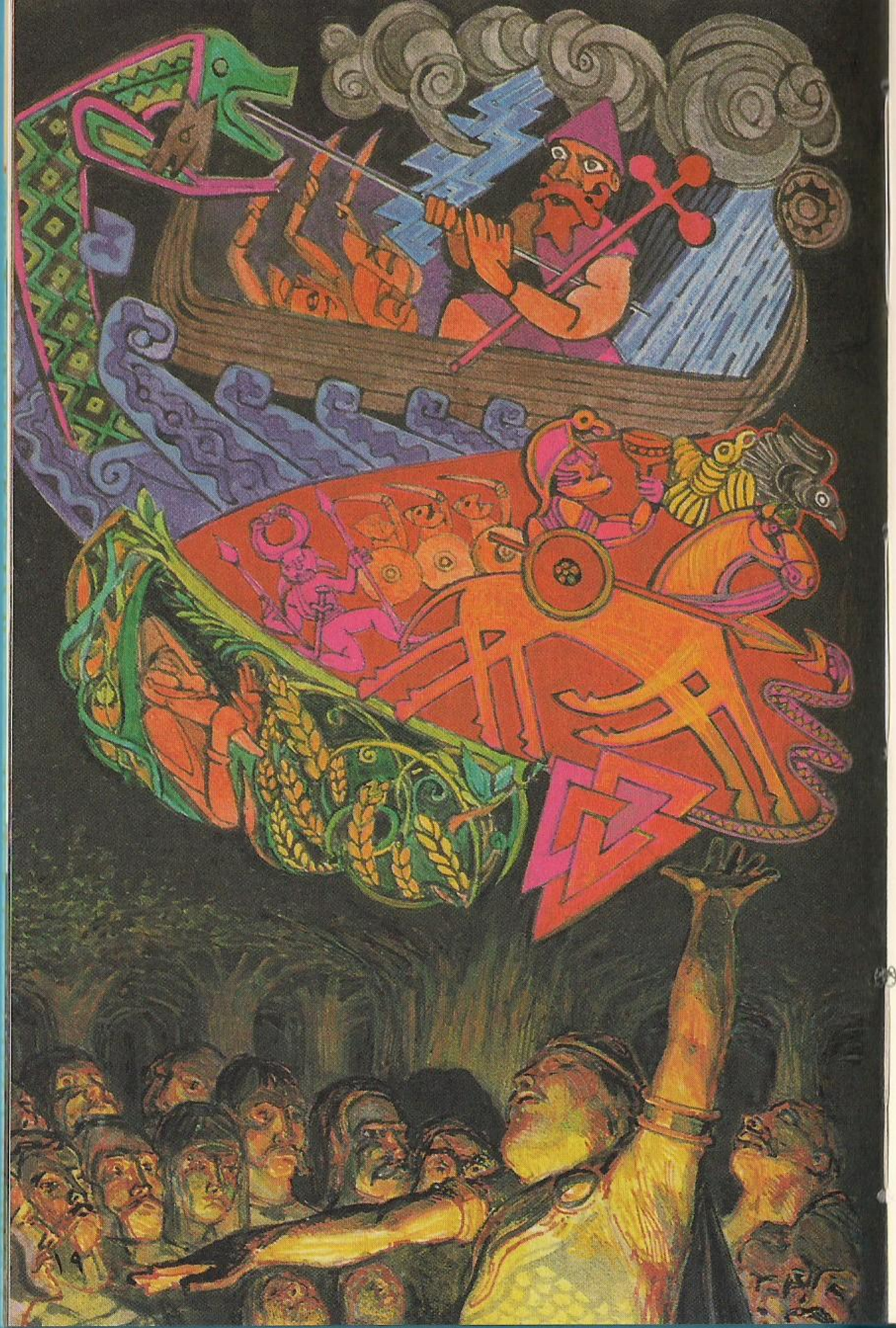

سَمَّى ٱلفايْكِنْجز سَيِّدَ آلِهَتِهِمْ أُودِن ، وكان ، في مُعْتَقَدِهِمْ ، ذا عَيْنٍ واحِدَةٍ ، ويَجْلِسُ في قاعَةِ ٱلمَوْتى حَيْثُ تُحَوِّمُ أَرْواحُ أَشْجَعِ ٱلمُحاربينَ من أَبْطالِهِمْ .

مِنْ آلِهَتِهِمْ أَيضاً ٱلاٰلهُ ثُور ٱلذي زَعَموا أَنَّهُ إِلٰهُ ٱلرَّعْدِ ، وٱلذي كانَ في ظَنِّهِمْ ذا قُوَّةٍ بَدَنِيَّةٍ خارِقَةٍ كانَ يَسْتَخْدِمُها أَبَداً في شَنِّ ٱلحَرْبِ على جِنْسٍ مِنَ ٱلشَّياطينِ ٱلمَرَدَةِ .

وكانَ طبيعيّاً أَنْ يُحاوِلَ ٱلفايْكِنْجز ٱلتَّمَثُّلَ بآلِهَتِهِم الشَّرِسَةِ التي لا تَهابُ . فٱتَّخَذوا ، لِذٰلكَ ، تَعاويذَ وَأَوْثاناً صَغيرَةً تُمَثِّلُ ٱلمُحَبَّبَ من آلِهَتِهم يَرْبُطُونَها بِسَلاسِلَ تُحيطُ بأعْناقِهِم أو يُعَلِّقُونَها في أَحْزِمَتِهم . وكانت تلك ٱلتَّعاويذُ ، في ظَنِّهِم ، تَهَبُهُمُ ٱلشَّجاعَةَ وٱلقُوَّةَ ورُوحَ ٱلمُغامَرَةِ ٱلتي كانت ، حَسَبَ تَصَوُّرِهِم ، مِنْ صِفاتِ آلِهَتِهِم .

ويتَّضِحُ من ذٰلِكَ أنَّ ٱلفايْكِنْجز كانوا يُؤْمِنون بِالخُرافاتِ ، وخُرافاتُهُمُ ٱتَّخَذَتْ أَشْكالاً مُتَعَدِّدَةً . فقد كان أَطِبَّاؤهم ، على سَبيلِ ٱلمِثالِ ، إذا أرادوا أَنْ يُضَمِّدوا جُرْحاً أو يَجْبُروا عَظْماً مَكْسوراً ، راحوا يَقْرأُون عِباراتٍ غَريبَةً ظَنّاً مِنْهُم أَنَّ لها مَفْعُولاً شافِياً . وٱسْتَمَرَّ هٰذا ٱلاتِّجاهُ في تَفْكيرِهِم حَتَّى إلى ما بَعْد تَنَصُّرِهم في ٱلْقَرْنِ ٱلتَّاسِعِ ٱلميلادِيِّ .

بَلْ إِنَّ شَيْئاً مِنَ ٱلخُرافَةِ كانَ يُحيطُ بِمُمارَسَةِ ٱلعَدالَةِ في قاعاتِ ٱلمَحاكِمِ . فقد كان ٱلرَّجُلُ مِنَ ٱلفايْكِنْجز إذا أَقْسَمَ في ٱلمَحْكَمَةِ يميناً ، يَجْرَحُ نَفْسَهُ بِسِكِّينٍ وَيَضَعُ قَطَرات من دمِهِ على سوار ساعِدِهِ ، إشارَةً منه إلى أَنَّهُ يقولُ ٱلحَقَّ ، ولا شَيءَ غَيْرَ ٱلحَقِّ .

شاعِرٌ مِنَ ٱلفايْكِنْجز يَرْوي أَخْبارَ آلِهَتِهِم ، أَخْبارَ إِلٰهِهِم ثُور حامِلِ ٱلمِطْرَقَةِ ، وأُودِن وحِصانِه ذي ٱلثَّماني قَوائِمَ ، وفْرِي إِلٰهِ ٱلطَّبيعَةِ

وكان ٱلعِقابُ الذي تُنْزِلُه مَحاكِمُ ٱلفايْكِنْجز صارِماً. فالسَّارِقُ عِقابُهُ ٱلشَّنْقُ، وٱلسَّاحِراتُ عِقابُهُنَّ ٱلمَوْتُ رَجْماً بِالحِجارَةِ أو غَرَقاً، وٱلقاتِلُ عِقابُهُ قَطْعُ ٱلرَّأْسِ.

وكان على ٱلرَّجُلِ منهم إذا شاءَ أن يُثْبِتَ بَراءَتَه أن يَجْتَازَ ٱخْتِباراً من ٱخْتِباراتِ ٱلتَّعْذِيبِ ٱلمَرِيرَةِ، كأَنْ يَحْمِلَ بَيْنَ يَدَيهِ قِطْعَةً مِنَ ٱلحَدِيدِ ٱلمُحَمَّى مَسافَةً مَعْلومَةً، أو أن يَرْمِيَها في حَوْضٍ. وكانَ لِلنِّساء منهم أُسْلُوبٌ آخَرُ في ٱخْتِبارِ ٱلتَّعْذيبِ إذْ كان عليهنَّ أن يَلْتَقِطْنَ حِجارَةً من قاعِ قِدْرٍ كبيرَةٍ مَمْلُوءَةٍ بِالماءِ ٱلمُغْلَى.

وبَدَهِيٌّ أنّ هٰذَينِ ٱلاخْتِبارَيْنِ كانا يُسَبِّبانِ آلاماً مُبَرِّحَةً شَديدَةً وحُروقاً بَالِغَةً في يَدَي من يَجتازُ أَحَدهما. وكانتِ ٱليَدانِ تُضَمَّدانِ بَعْدَ ٱلاخْتِبارِ، وتُزالُ

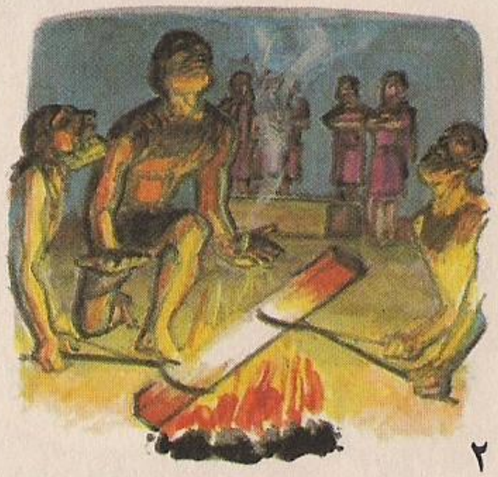

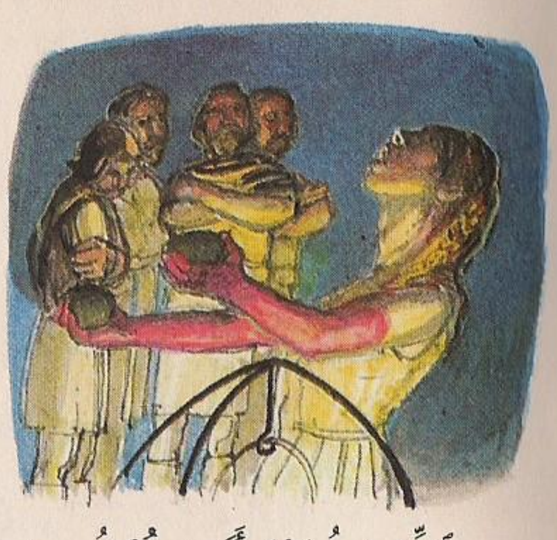

ٱلضِّماداتُ بَعْدَ أَيَّامٍ وتُعْرَضُ على كاهِنٍ من كَهَنَتِهم.

فإذا رَأى ٱلكاهِنُ ٱلحُروقَ قد بَدأَتْ تَنْدَمِلُ، فَهٰذا يَعْني عِنْدَهُم أَنَّ ٱلرَّجُلَ بَريءٌ، وكذٰلِكَ ٱلمَرْأَةُ. أَمَّا إذا كانتِ ٱلحُرُوق قد تَلَوَّثَتْ فَهٰذا يَعْني عِنْدَهُم أَنَّ ٱلرَّجُلَ مُذْنِبٌ، وكذٰلِكَ ٱلمَرْأَةُ.

على أَنَّهُ مِنَ ٱلظُّلْمِ أَنْ نَفْتَرِضَ أنّ ٱلفايْكِنْجز لَجأوا إلى الخُرافاتِ في شُؤونِ مَحاكِمِهِم كُلِّها. فكَثيرٌ من قَوانينِهِم كان سَليماً، عادِلاً، بل ورَحوماً في عَديدٍ منَ الأَحْيانِ. فَعَلَى سَبيلِ ٱلمِثالِ، كان ٱلقانونُ يَفْرِضُ على مَنْ يُؤْذي خَصْمَه في قتالٍ أَنْ يَدْفَعَ أُجْرَةَ ٱلطَّبيبِ الذي يُداوي ذٰلِكَ ٱلخَصْمَ.

وكان مِثْلُ هٰذِهِ ٱلحالاتِ يَتكَرَّرُ لِما كانت عليه طَبيعَةُ ٱلفايْكِنْجز ٱلشَّرِسَةُ ٱلمَيَّالَةُ لِلْقِتالِ. ولَطالَما نَشِبَ قِتالٌ دَمَوِيٌّ بَيْنَ أَتْباعِ زَعيمَينِ مُتَنافِسَينِ.

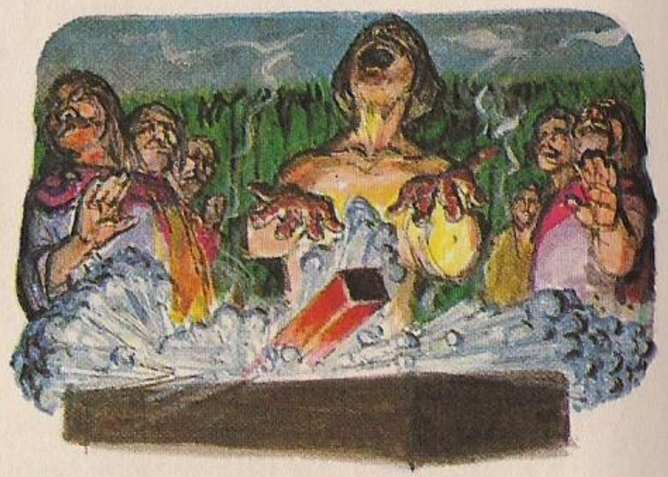

مِثْلُ ذٰلِكَ ٱلصِّراعِ ٱلدَّمَوِيِّ ٱلأَثيمِ كان يُسَوَّى إمّا بِاللجوءِ إلى ٱلمَحاكِمِ أو بِالاحْتِكامِ إلى المُبارَزَةِ. وكان لِلْفايْكِنْجز قَوانينُ صارِمَةٌ تُنَظِّمُ قَواعِدَ ٱلمُبارَزاتِ. فقد كان ٱلمُتَبارِزان في إيسْلَنْدَة يَنْتَقِلانِ في قارِبٍ إلى جَزيرَةٍ صَغيرَةٍ نائِيَةٍ حيثُ تُقامُ على أَرْضٍ مُنْبَسِطَةٍ حَلْقَةُ مُبارَزَةٍ شَبيهَةٌ بِحَلَقاتِ ٱلمُلاكَمَةِ في أَيّامِنا هٰذِهِ. كانت أَرْضُ ٱلحَلْقَةِ تُفْرَشُ بِقِطْعَةٍ كَبيرَةٍ مُرَبَّعَةٍ مِنَ ٱلقُماشِ تُثَبَّتُ في الأَرْضِ من زَواياها ٱلأَرْبَعِ. وتُنْصَبُ أَرْبَعُ قَوائِمَ من خَشَبِ ٱلبُنْدُقِ حَوْلَ ٱلحَلْقَةِ يُوْصَلُ بَيْنَها بِالحِبالِ.

وكان يُرافِقُ كُلاًّ مِنَ المُتَبارِزَيْنِ مُساعِدٌ أو رَديفٌ. وحينما تَبْدَأُ ٱلمُبارَزَةُ يَتَبادَلُ ٱلرَّجُلانِ ضَرَباتِ ٱلسَّيْفِ، كُلٌّ له دَوْرُهُ. وَيَتَقَدَّمُ ٱلرَّديفُ مَعَ كُلِّ ضَرْبَةٍ لِيَرُدَّ بِدِرْعِهِ وَقْعَ ٱلسَّيْفِ عن جَسَدِ صاحِبِهِ.

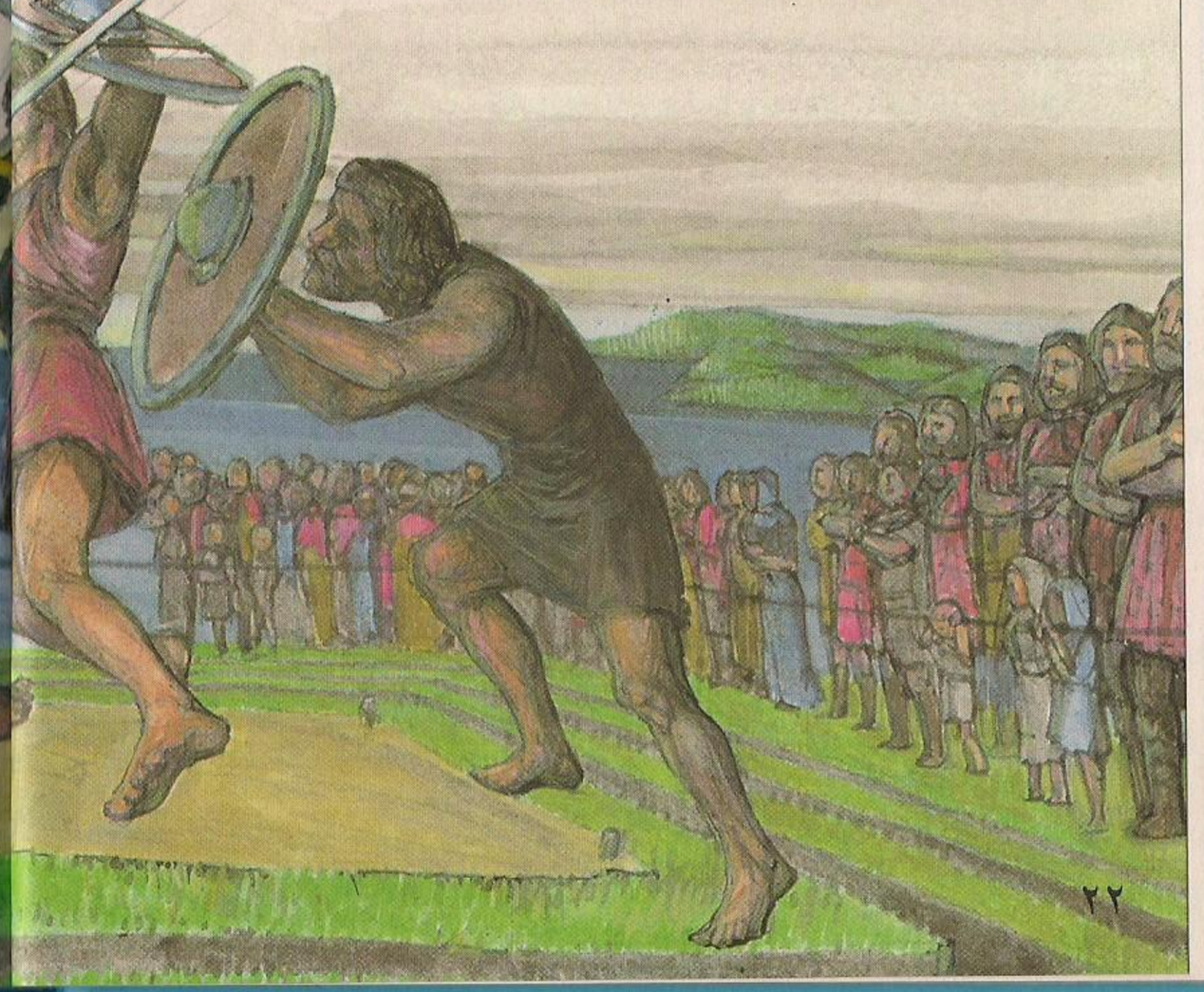

وَتَسْتَمِرُّ ٱلمُبارَزَةُ إلى أَنْ يُصابَ أَحَدُ ٱلمُتَخاصِمَينِ وَيَسيلَ دَمُهُ على قُماشِ أَرْضِ ٱلحَلْقَةِ. وَيحِقُّ لِلْمُصابِ عِنْدَها أنْ يَطْلُبَ إيقافَ ٱلمُبارَزَةِ على أنْ يَدْفَعَ للمُنْتَصِرِ ثَمَنَ ٱنْتِصارِهِ. وَيَتَوَقَّفُ ٱلقِتالُ، كذٰلِكَ، إذا خَرَجَ أَحَدُ ٱلمُتَبارِزَينِ خارِجَ حُدودِ ٱلحَلْقَةِ. وإذا رَكَزَ أَحَدُهُما قَدَماً واحِدَةً خارِجَ ٱلحَلْقَةِ ٱعْتُبِرَ عَمَلُهُ هذا تَقَهْقُراً وَتراجُعاً. وأمَّا إذا رَكَزَ قَدَمَيهِ ٱلاثْنَتَيْنِ خارِجَ ٱلحَلْقَةِ فسيُعْتَبَرُ ذٰلِكَ هُروباً. وَبَدَهِيٌّ أَنَّ ٱلرَّجُلَ منهم، إذا كانَ يَحْتَرِمُ نَفْسَهُ، لا يَفْعَلُ أَيّاً من هٰذَينِ ٱلأَمْرَينِ عامِداً مُخْتاراً، إذْ سَيَعْتَبِرُهُ ٱلنَّاسُ جَباناً، وٱلجُبْنُ عِنْدَهُم أَفْظَعُ ضُروبِ ٱلإذْلالِ.

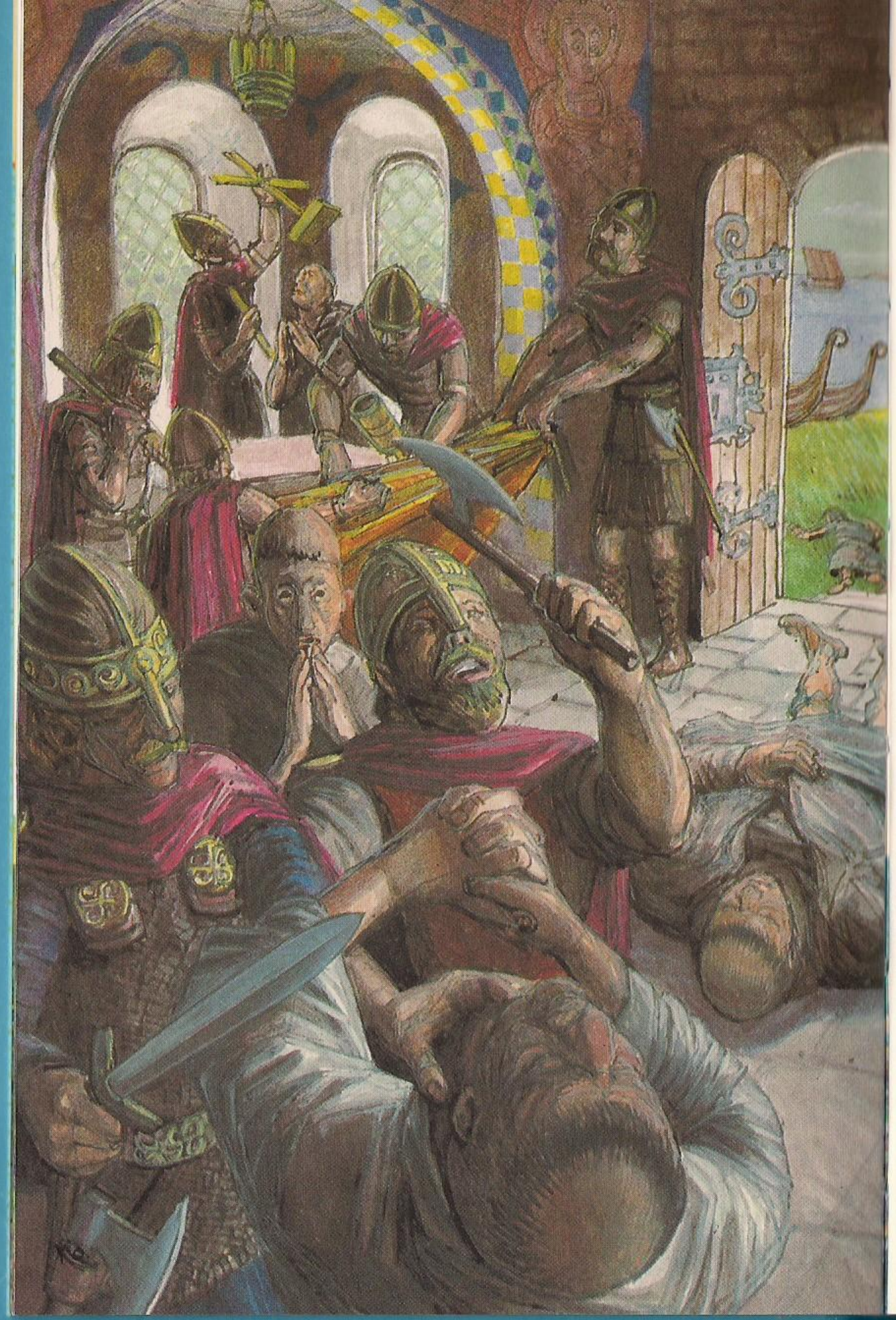

القِسْمُ ٱلثَّاني – خُروجُ ٱلفايْكِنْجز إلى ما وَراء ٱلبِحارِ

اعْتَبَرَ رِجالُ ٱلفايْكِنْجز ٱلبَحْرَ واحِداً مِنْ أَكْثَرِ ٱلأَماكِنِ إثارَةً ، لِذٰلِكَ دَعَوْه «ٱلبُقْعَةَ ٱلسَّعيدَة» و«عِقْدَ ٱلأَرْضِ ٱلفِضِّيَّ» . وَبَلَغَ من حُبِّهم له أَنَّ كَثيرينَ منهم رَغِبوا في أَنْ يُدْفَنوا فيه بَعْدَ ٱلموتِ ، وكانوا أَحْياناً يُضْرِمونَ ٱلنَّارَ في ٱلسَّفينَةِ التي تَنْقُلُ جسَدَ ٱلواحِدِ منهم ويُرْسِلونَها فَوْقَ ماءِ ٱلنَّهْرِ أو ٱلخَليجِ.

ولم يَكُنْ في أوروبةَ كُلِّها مَنْ يجاري ٱلفايْكِنْجز مَهارَةً في أُمورِ ٱلبَحْرِ مُنْذُ أنْ بَدأ هٰؤلاءِ يَنْصُبونَ ٱلأَشْرِعَةَ فَوْقَ سُفُنِهِمْ ويَقودونَ تلك ٱلسُّفُنَ في أَعالي ٱلبِحارِ. ولقد لَعِبَت قُدراتُ ٱلفايْكِنْجز ٱلبَحْرِيَّةُ ٱلمُذْهِلَةُ دَوْراً كَبيراً حَقّاً في إِحْداثِ هِزَّةِ ٱلرُّعْبِ ٱلعَنيفةِ ٱلتي أَوْقَعَتْها غَزَواتُهُمْ في أَنْحاءِ أوروبة . لقد قام ٱلفايْكِنْجز بِغارَتِهِمِ ٱلأُولى ٱلمُدَمِّرَةِ في ٱلسَّنَةِ ٧٩٣ ميلاديّة ، حينَ هاجَموا جَزيرةَ لِنْدِسْفارْن ٱلتي تَبْعُدُ حوالى ثَلاثَةِ كيلومتْراتٍ عن شَواطِئِ شَمالِ شَرْقيِّ انْكِلْترة . وحينَ سَمِعَ ٱلمُؤَرِّخُ ٱلانْكليزيُّ ٱلْكوِن بِتِلْكَ ٱلغارَةِ أُصيبَ بِشُعورٍ هو مَزيجٌ من ٱلدَّهْشَةِ وٱلرُّعْبِ ، وكَتَبَ يَقُولُ : «كنّا نَظُنُّ أنَّ ٱلقِيامَ بِمِثْلِ تلك ٱلغارَةِ أَمْرٌ مُسْتَحيلٌ» .

على أَنّ وُصُولَ ٱلفايْكِنْجز إلى جَزيرَةِ لِنْدِسْفارْن لم يَكُنْ يَقْتَضي منهم سوى ٱلانْتِقالِ عَبْرَ ٱلبَحْرِ من شَواطِئِ ٱسْكَنْدِناڤْيَة ٱلغَرْبِيَّةِ إلى شَواطِئِ انْكِلْترة ٱلشَّرْقِيَّة . ولو قُدِّرَ لِلْمُؤَرِّخِ ٱلْكوِن أنْ يَعْلَمَ أَنَّ مِثْلَ تلك ٱلرِّحْلَةِ ٱلبَحْرِيَّةِ ٱلمُباشِرَةِ أَمْرٌ يَسيرٌ هَيِّنٌ بِالنِّسْبَةِ لِما يَسْتطيعُ أنْ يُنجِزَهُ بَحّارةُ ٱلفايْكِنْجز ٱلمَوهوبون لَكانَ أُصيبَ بِذُهولٍ أَشَدَّ وأَدْهى . لقد حَمَلوا أَنْفُسَهُم إلى ٱلأَماكِنِ ٱلبَعيدَةِ ، وصارَعوا أَهْوالَ ٱلبحارِ ٱلخَطِرَةِ ، ووَصَلوا إلى بِلادِ إيْسْلَنْدَة وأَرْضِ چْرِيْنلانْد ، بل وإلى أَميركَة أَيْضاً ، كما تَدُلُّ على ذٰلِكَ بَعْضُ ٱلدَّلائِلِ والآثارِ.

الإغارَةُ على دَيْرِ جَزيرَةِ لِنْدِسْفارْن

لقد بَنى رِجالُ ٱلفايْكِنْجز سُفُنَ رِحْلاتِهِم تِلْكَ بِناءً يُمَكِّنُها من تَحَمُّلِ ٱلضَّغْطِ ٱلهائِلِ وأَلْوانِ ٱلمَخاطِرِ ٱلتي تَتَعَرَّضُ لها في ٱلبِحارِ ٱلمَفْتوحَةِ.

أَمَّا بَدَنُ ٱلسَّفِينَةِ فكان مَبْنِيّاً مِنْ أَلْواحٍ خَشَبِيَّةٍ طَويلَةٍ يَرْبُطونَها إلى ٱلأَضْلاعِ أو إلى ٱلهَيْكَلِ. وكانوا يُقيمُونَ دِعاماتٍ مُعْتَرِضَةً بَيْنَ جانِبَي ٱلسَّفينَةِ يُثَبِّتونَها إلى ٱلهَيْكَلِ بمُفَصَّلاتٍ خَشَبِيَّةٍ زاوِيَّةٍ. وجاءَتْ مَراكِبُهُم، بِذلِكَ، طَويلَةً، صَقيلَةً، مِطْواعَةً تَتَحَرَّكُ بِيُسْرٍ وسُهولَةٍ مَعَ حَرَكَةِ ٱلأَمْواجِ. وأَمَّا جُؤْجُؤُ ٱلسَّفِينَةِ (مُقَدِّمَتُها) ٱلمُرَوَّسُ ٱلحادُّ فكانَ يَسْمَحُ لِلسَّفينَةِ ٱلطَّويلَةِ أَنْ تَشُقَّ مِياهَ

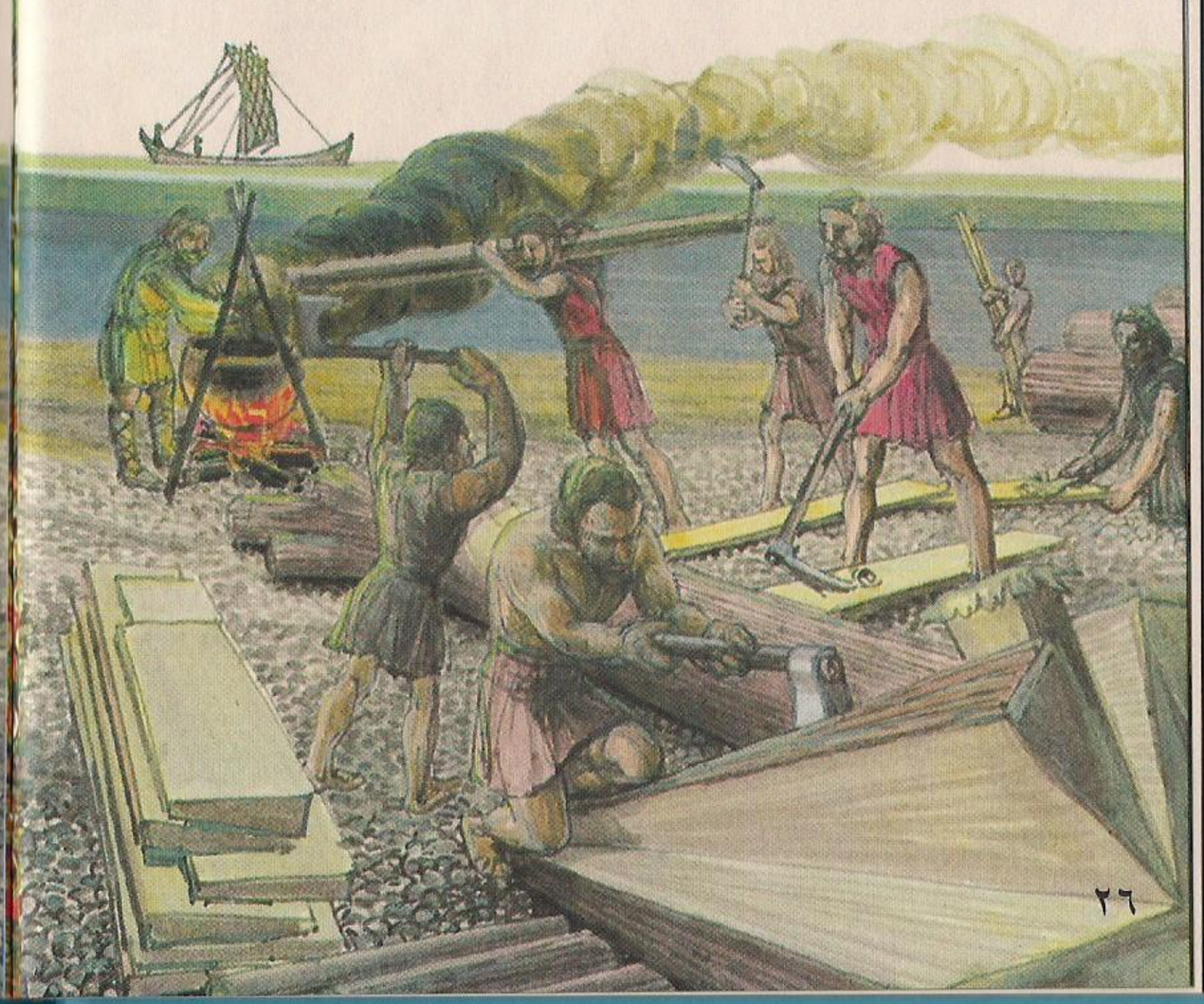

٢٦

ٱلبَحْرِ مُنْطَلِقَةً بِسُرْعَةٍ تَصِلُ إلى ١٢ ميلاً بَحْرِيّاً في ٱلسَّاعَةِ. وأَمّا صالِبُ ٱلقاعِدَةِ ٱلخَشَبِيُّ ٱلقَوِيُّ الذي يَمْتَدُّ طُولِيّاً في قاعِ ٱلمَرْكَبِ كُلِّهِ فقد كان يساعِدُ على ثَباتِ ٱلسَّفِينَةِ وٱلحِفاظِ على تَوازُنِها. وأَمَّا صَواري ٱلسُّفُنِ ٱلتي تَحْمِلُ ٱلأَشْرِعَةَ فقد بَلَغَتْ، أَحْياناً، ٱثْني عَشَرَ مِتْراً عُلُوّاً، وكانوا يُثَبِّتونَها فَوْقَ كُتَلٍ خَشَبِيَّةٍ صُلْبَةٍ مَتينَةٍ، وَيَنْشُرونَ فَوْقَها شِراعاً صُوفِيّاً واحِداً سَميكاً، يُبَطِّنونَه، إذا شاؤوا، بِشَبَكَةٍ مِنَ ٱلحبالِ.

بِناء السُّفُن

٢٧

كان مِثْلُ تلك ٱلسُّفُنِ ٱلرَّاسِخَةِ ٱلقَوِيَّةِ أَمْراً لا غِنًى عَنْهُ في رِحْلاتِ ٱلفايْكِنجز ٱلنَّاجِحَةِ. إلاّ أنّ ٱلنَّجاحَ لا يَعْتَمِدُ على ٱلسُّفُنِ وَحْدَها وإنَّما على ٱلمَهارَةِ في ٱلمِلاحَةِ أَيْضاً. كان ٱلتَّنَقُّلُ بَحْراً على طولِ ٱلشَّاطِئِ الاِسْكَنْدِناقي وَقَطْعُ الخُلْجانِ ٱلمُسْتَطِيلَةِ ٱلضَّيِّقَةِ ذَهاباً وإياباً، أَمْراً يَسِيراً هَيِّناً. وٱسْتَخْدَمَ ٱلفايْكِنْجز في هٰذِهِ ٱلتَّنَقُّلاتِ قَوارِبَ صَغيرَةً أو مَراكِبَ كَبيرةً تَصْلُحُ لأَغْراضٍ شَتَّى. أَمَّا ٱلإبْحارُ في ٱلبِحارِ ٱلمَفْتوحَةِ فكانَ أَمْراً آخَرَ.

اسْتَعانَ الفايْكِنْجز في رِحْلاتِهِمِ ٱلبَحْرِيَّةِ ٱلبَعيدَةِ بِخُطُوطِ ٱلعَرْضِ، فكانوا يُبْحِرُونَ شَمالاً أو جنوباً إلى أنْ يَصِلوا إلى خَطِّ ٱلعَرْضِ الذي يَقَعُ عليه ٱلمَوْقِعُ ٱلذي يَقْصِدونَهُ، ثُمَّ يُبْحِرونَ شَرْقاً أو غَرْباً مُلازِمينَ خَطَّ ٱلعَرْضِ نَفْسَه إلى أَنْ يَبْلُغوا ذٰلِكَ ٱلمَوْقِعَ.

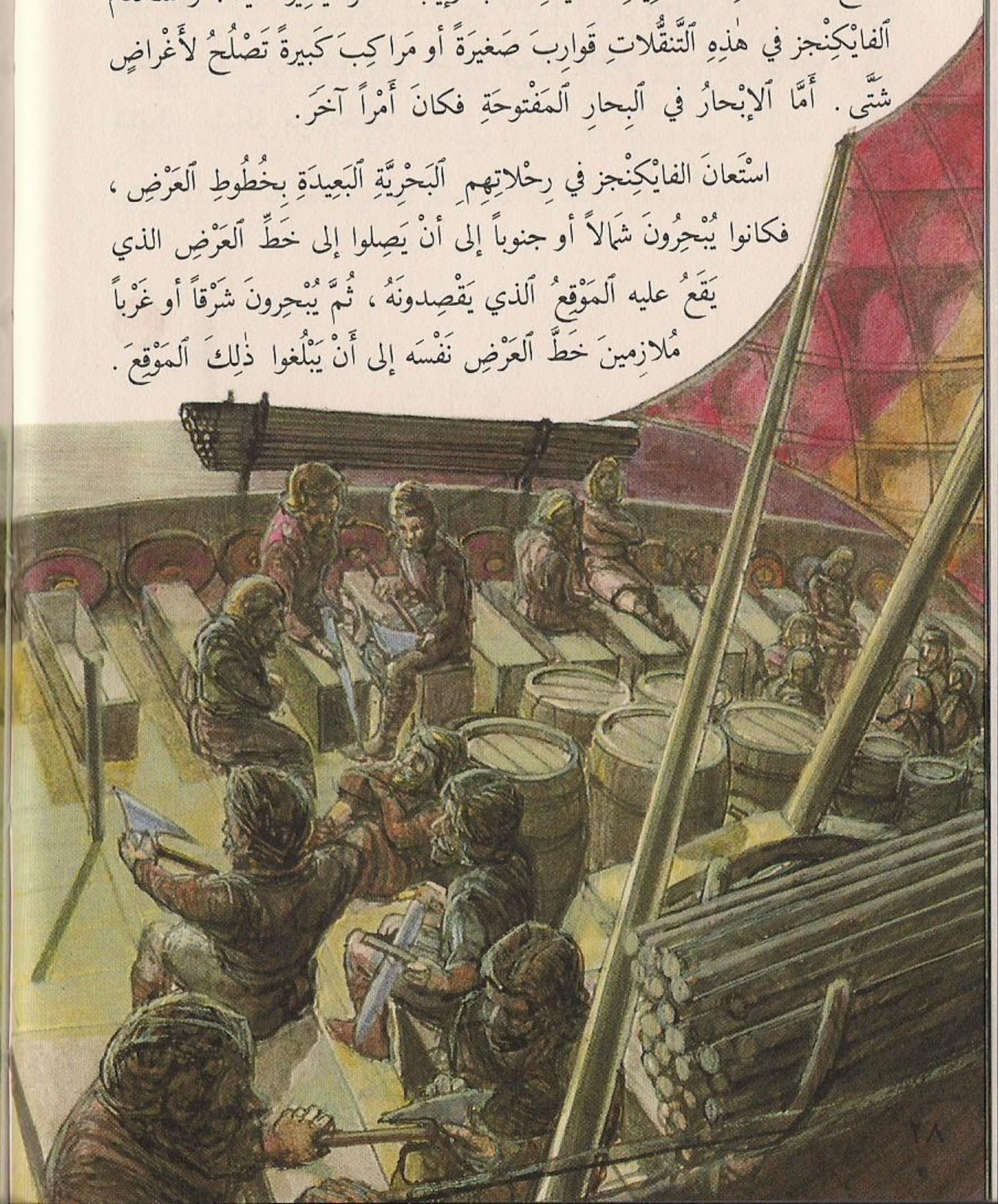

اسْتَعانَ مَلاّحو ٱلفايْكِنْجز بِمَوْقِعِ ٱلشَّمْسِ نَهاراً وبِنَجْمَةِ ٱلقُطْبِ لَيْلاً. ففي ٱلنَّهاراتِ ٱلمُشْمِسَةِ كانوا يَنْصُبُونَ عَصاً ويُراقِبونَ ٱلظِّلَّ ٱلذي تُلْقيهِ على أَرْضِ ٱلسَّفينَةِ، وإذا كانَ ظِلُّ تلك ٱلعصا أَطْوَلَ ممَّا يَنْبَغي أو أَقْصَرَ مِمَّا يَنْبَغي فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُعَدِّلوا اتِّجاهَ إبحارِهِمْ شَمالاً أو جَنوباً لِيَصِلوا إلى خَطِّ ٱلعَرْضِ ٱلمَنْشودِ. وأَمَّا لَيْلاً فكانوا يُراقِبُونَ نَجْمَةَ ٱلقُطْبِ مُراقَبَةً دَقيقَةً مُحافِظينَ على مَوْقِعِ سَفينَتِهِمْ في ٱلمَكانِ ٱلصَّحيحِ بِالنِّسْبَةِ إليها. وكانوا، أَبَداً، يُحَلِّلُونَ ما يُقَدِّمُهُ لَهُمُ ٱلبَحْرُ، وما تُقَدِّمُهُ ٱلسَّماءُ، مِنْ دَلائِلَ مُفيدَةٍ. وإذا ما رَأَوا ٱلأَعْشابَ ٱلبَحْرِيَّةَ طافِيَةً على وَجْهِ ٱلمَاءِ، أو رَأَوا ٱلطُّيورَ وهي تَلْتَقِطُ ٱلأَسْماكَ بِمَناقيرِها، أَدْرَكُوا أَنَّهُم قَريبُونَ مِنَ ٱلبَرِّ.

الفايْكِنْجز يَسْتَخْدِمونَ مِزْوَلَةً تُبَيِّنُ الاِتِّجاهاتِ

وكان لَهُمْ مَعالِمُ وإشاراتٌ يَسْتَرْشِدونَ بها في رِحْلاتِهِمِ ٱلقَريبَةِ وَٱلبَعيدَةِ. وإليكَ مَثَلاً مِنَ ٱلتَّعْليماتِ ٱلتي كانوا يَسْتَخْدِمونَها في إبْحارِهِمْ مِنْ بِلادِ ٱلنَّرويج إلى جَزيرَةِ چْرينْلانْد بِمُحاذاةِ خَطِّ ٱلعَرْضِ ٦١ دَرَجَةً شَمالاً :

«أَبْحِرْ غَرْباً من مَوْقِعِ هِرْنار في ٱلنَّرويج إلى فارْف في چْرينْلانْد. عَليكَ أَوَّلا أَنْ تُبْحِرَ غَرْباً إلى ٱلشَّمالِ من جُزُرِ شِتْلانْد وعلى بُعْدٍ منها بِحَيْثُ تَسْتَطيعُ تَبَيُّنها. ثمَّ أَبْحِرْ غَرْباً إلى ٱلجَنُوبِ من جُزُرِ فارو بِحيثُ يَبْدُو سَطْحُ ٱلبَحْرِ بِمُحاذاةِ وَسَط ٱلمُنْحَدَرِ ٱلجَبَلِيِّ ...»

وإذا لم تَلُحْ جُزُرُ شِتْلانْد في ٱلأُفُقِ ٱلبَعيدِ، أو إذا لَمْ يَبْدُ سَطْحُ ٱلبَحْرِ بِمُحاذاةِ وَسَطِ مُنْحَدَراتِ جُزُر فارو، كان على ٱلمَلاَّحينَ أن يُعَدِّلوا خَطَّ سَيْرِ سُفُنِهِمْ بِحيثُ يَأْخُذُ ٱلاتِّجاهَ ٱلصَّحيحَ.

كان ٱلبَحْرُ، ولا يَزالُ، مَصْدَرَ خَطَرٍ شَديدٍ لِراكِبيهِ. ولقد هَلَكَ ٱلكَثيرونَ من رِجالِ ٱلفايْكِنْجز وَغَرِقَتْ سُفُنُهم، رَغْمَ مَهاراتِهِم ٱلْبَحْرِيَّةِ وَبَسالَتِهِمْ. ولا يَزالُ حُطامُ آلافٍ من مَراكِبِهِم إلى يَوْمِنا هٰذا مُسْتَقِرّاً في قاعِ بَحْرِ ٱلبَلْطيقِ، وٱلبَحْرِ ٱلمُتَوَسِّطِ وٱلمُحيطِ الأَطْلَنْطيِّ، وقيعانِ أَنْهارِ روسْيَة وَفَرَنْسة وأَلْمانيَة.

على أَنَّ مَواقِعَ تلك ٱلسُّفُنِ ٱلمُحَطَّمَةِ تَكْشِفُ لنا عن جانبٍ مُثيرٍ من حَياةِ أُولئِكَ ٱلمَلاَّحينَ ٱلمَهَرَةِ؛ ذلك هو ٱنْطِلاقُهم من بِلادِهِم الاِسْكَنْدِناڤيّةِ مُجازِفينَ بالابتِعادِ عنْها أَعْظَمَ ٱلبُعْدِ. فلقد أَبْحروا، غَرْباً، بِمُحاذاةِ شَواطِئِ فَرَنْسة وإسْبانْيَة وَعَبَروا مَضيقَ جَبَلِ طارِقٍ، وأَوْغَلوا في ٱلبَحْرِ ٱلمُتَوَسِّطِ قاصِدينَ إيطالْيَة وشَماليّ إفريقية. أما شَرْقاً فلقد وَصَلَتْ مَراكِبُهم إلى روسْيَة، وٱنْطَلَقوا بها فَوْقَ أَنْهارِ ڤولْكُف ودِنيبر وٱلڤولْجا ٱلعَظيمَةِ، مُتَتَبِّعينَ مَجاري تلك ٱلأَنْهارِ إلى أَنْ وَصَلوا إلى ٱلبَحْرِ ٱلأَسْوَدِ وَشَرْقِيِّ ٱلْبَحْرِ ٱلمُتَوَسِّطِ.

هَلَكَ ٱلكثيرونَ من رِجالِ ٱلفَايْكِنْجز وَغَرِقَتْ سُفُنُهم

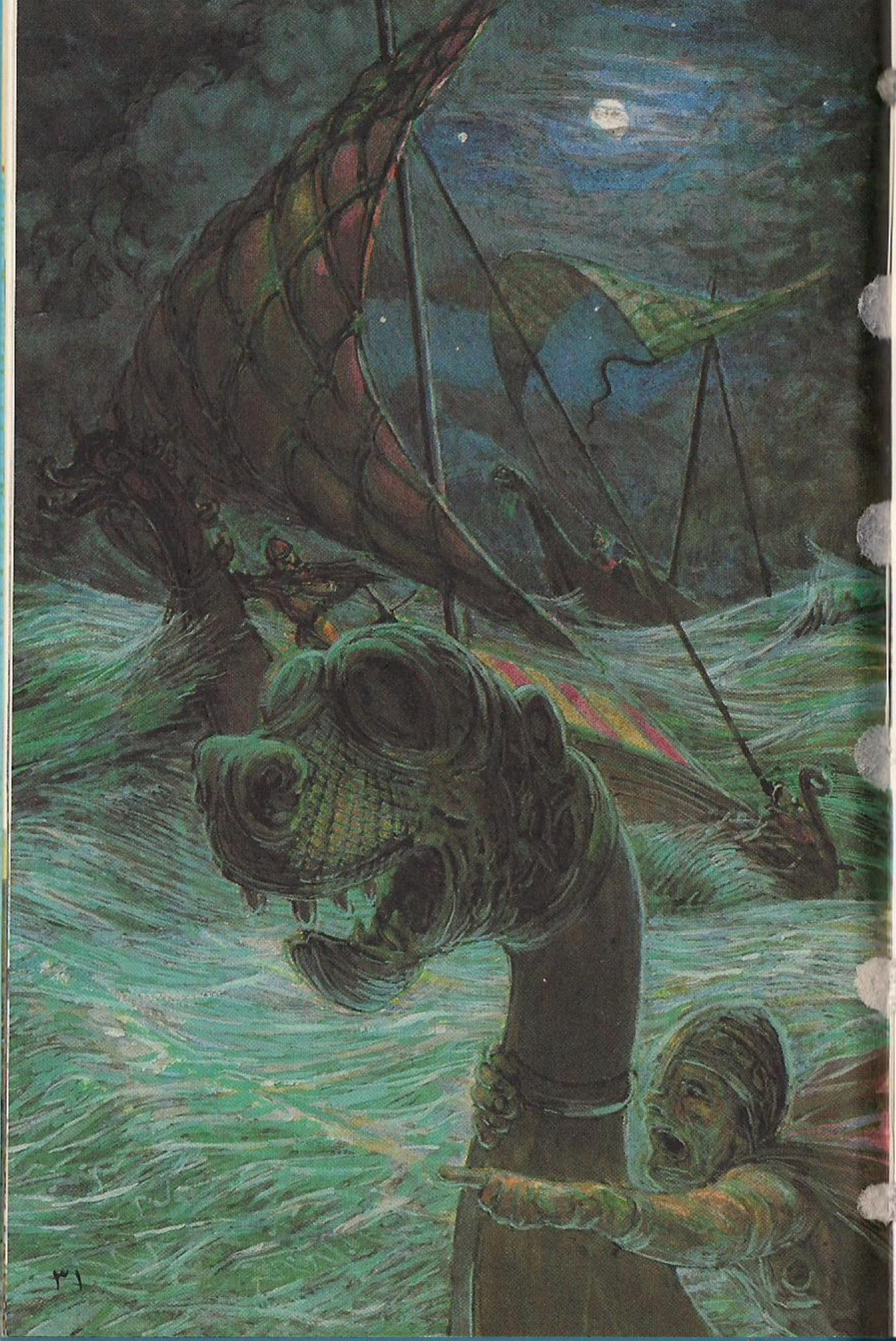

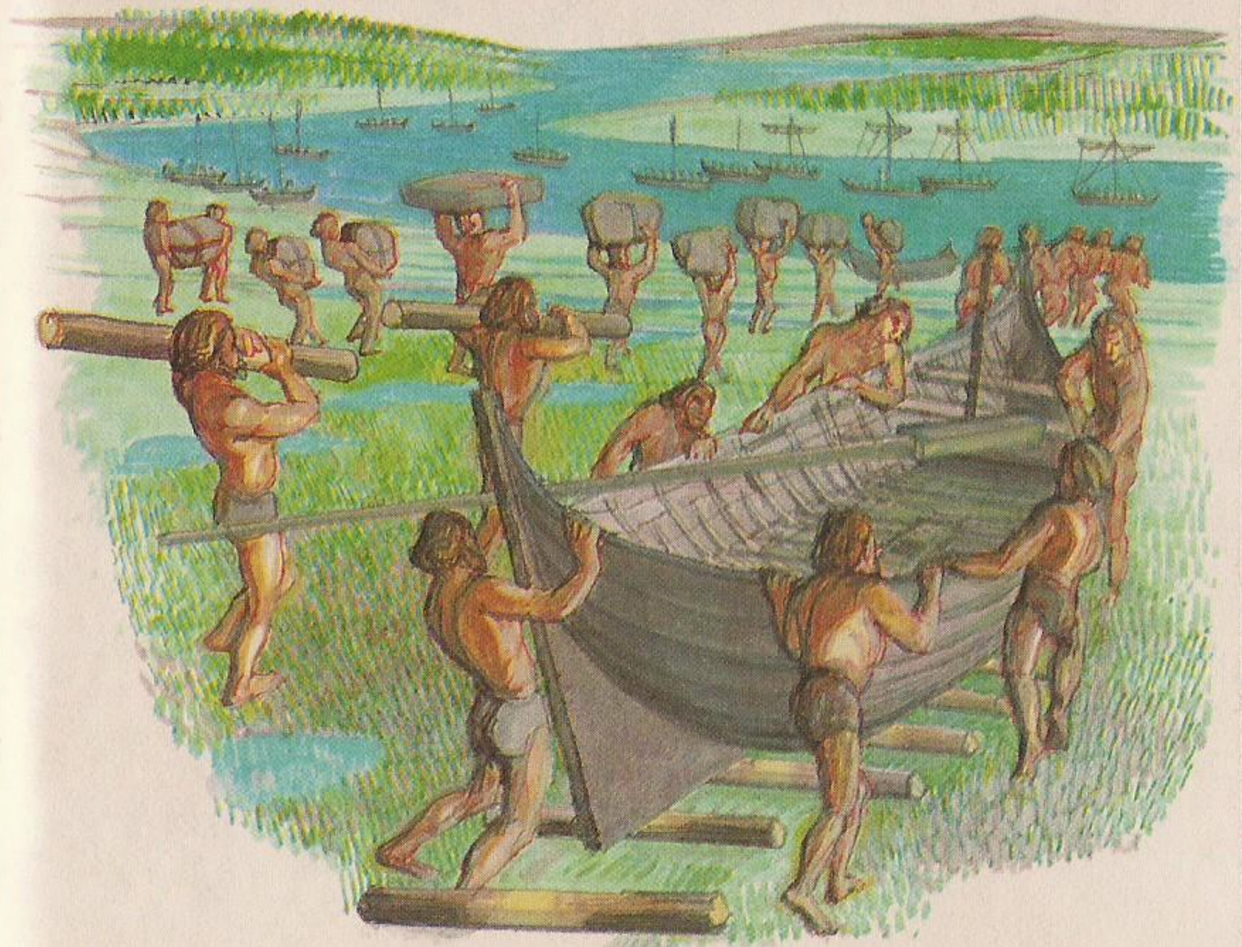

وكان رِجالُ ٱلفايْكِنْجز ، في هٰذِهِ ٱلأَماكِنِ جَميعِها أو في غَيْرِها ، يُغيرونَ على ٱلمُسْتَوْطَناتِ ، وينْهَبونَ بُيوتَ ٱلعِبادَةِ ، وَيَقْتُلونَ ٱلمِئاتِ مِنَ ٱلرِّجالِ وٱلنِّساءِ وٱلأَطْفالِ ، وينْشُرونَ ، حَيْثُما حَلّوا ، ٱلمَوْتَ وٱلدَّمارَ وٱلذُّعْرَ. وكانَتْ بُيوتُ ٱلعِبادَةِ وٱلأَدْيِرَةُ ، حيثُ تُخْتَزَنُ كُنوزٌ مِنَ ٱلذَّهَبِ وٱلمُجَوْهَراتِ وٱلزَّخارِفِ ٱلثَّمينَةِ ، هَدَفَ ٱلغُزاةِ ٱلمُفَضَّلَ. لقد بُنِيَتِ ٱلأَدْيِرَةُ ، في ٱلغالِبِ ، فَوْقَ جُزُرٍ صَغيرَةٍ مُنْعَزِلَةٍ ، كَجَزيرَةِ لِنْدِسْفارْن أو جَزيرَةِ إيونا ، أَوِ ٱتُّخِذَتْ لها مَواقِعُ شُطْآنِيَّة خطِرَةٌ غَيْرُ مأْهولَةٍ ، رَغْبَةً من بُناتِها في إِبْعادِها عن مَخاطِرِ ٱلهجَماتِ. ما كانَ أَفْدَحَ خَطَأَهُمْ !

هَاجَمَ رِجالُ ٱلفايْكِنْجز جَزيرَةَ إيونا ، غَربِيّ انْكِلْترة ، ثلاثَ مَرَّاتٍ في ٱلفَتْرَةِ ٱلواقِعَةِ بَيْنَ ٧٩٥ ميلادِيَّة و ٨٠٦ ميلادِيَّة ، أي خِلالَ أَحَدَ عَشَرَ عاماً.

وَتَمَلَّكَ ٱلرُّعبُ رِجالَ ٱلدّينِ هُناكَ فَدَفنوا كَنْزَهُمْ وَفَرُّوا. وأَغارَ ٱلفايْكِنْجز مَرَّةً رابِعَةً في ٱلسَّنَةِ ٨٢٥ ميلادِيّة ، فلم يَجِدوا إلاّ راهِباً واحِداً فَوْقَ ٱلجَزيرَةِ ، فَقَتَلوهُ بَعْدَ أَنْ رَفَضَ أَنْ يَدُلَّهُمْ على مَوْقِعِ ٱلكَنْزِ ٱلدَّفينِ.

وحَلَّ ٱلمَصيرُ ٱلأَسْوَدُ نَفْسُهُ بِرِجالِ ٱلأَدْيِرَةِ ٱلغَنِيَّةِ وبُيوتِ ٱلعِبادَةِ ٱلمُنْتَشِرَةِ في وادي ٱللّوار في شمالِ شَرْقِ فَرَنْسَة. هٰؤلاءِ أَصابَهُم مَزيجٌ من مَشاعِرِ ٱلدَّهْشَةِ وٱلذُّعْرِ حين فُوجِئوا بِرِجالِ ٱلفايْكِنْجز وقد أَطْبَقوا عليهم بَعْدَ أَنْ قادوا سُفُنَهم ٱلطَّويلَةَ عَبْرَ مَجْرَى نَهْرِ ٱللّوارِ. وٱسْتَخْدَمَتْ جَماعاتٌ أُخْرَى من ٱلمُغيرينَ نَهْرَ ٱلرّون مُنْطَلِقَةً من جَنوبِ فَرَنْسَة ومُوْغِلَةً في عُمْقِها. وركِبَتْ جَماعاتٌ منهم نَهْرَي ٱلإلْب وٱلرّايْن لِتُغيرَ على قَلْبِ أَلْمانْيَة.

لم تُوقِفِ ٱلمُنْحَدَراتُ ٱلنَّهْرِيَّةُ وٱلمياهُ ٱلضَّحْلَةُ تَقَدُّمَ ٱلفايْكِنْجز. كانوا ، إذا ٱضطّروا ، يَجُرّون مَراكِبَهم على ٱليابِسَةِ

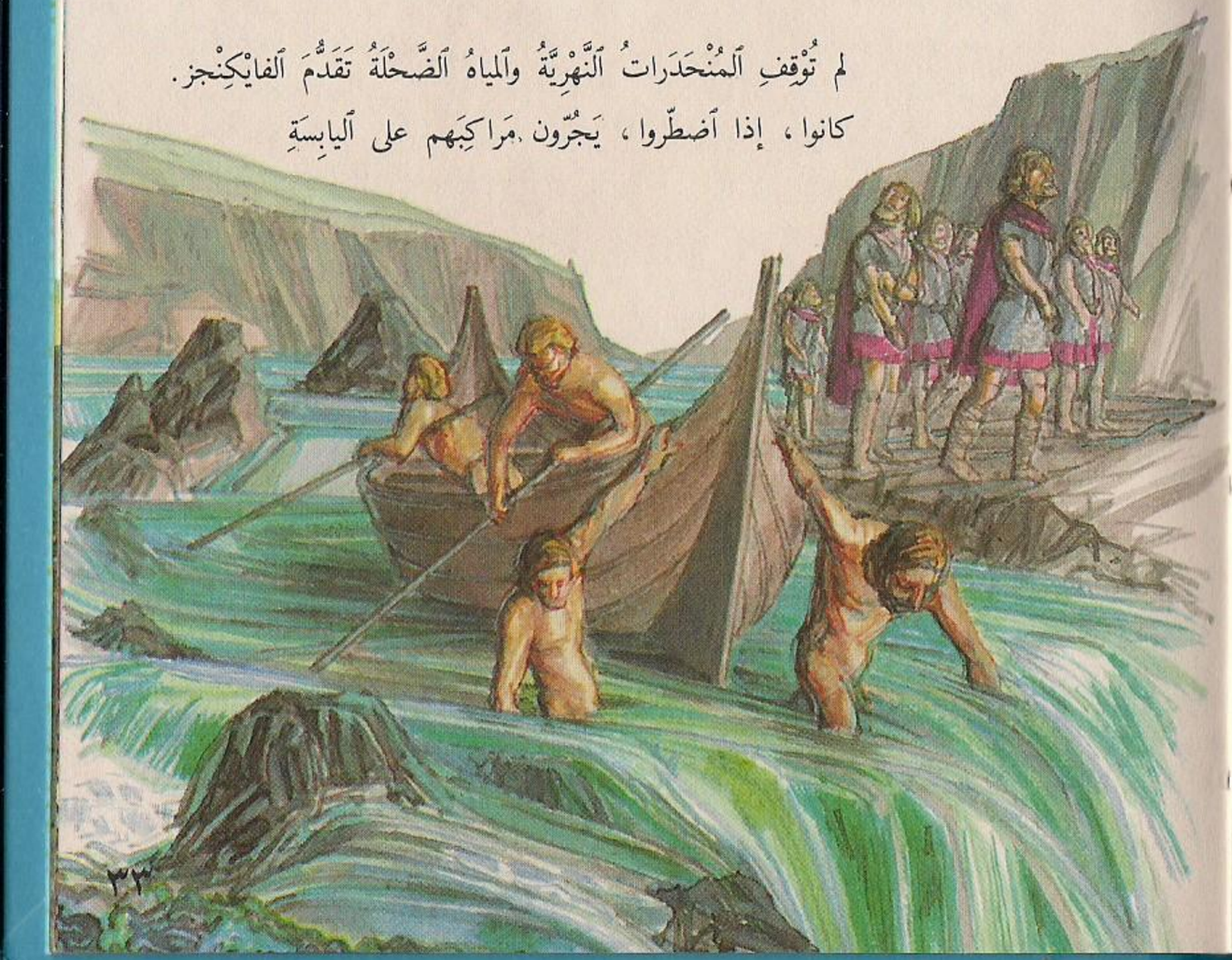

كان ٱلفايْكِنْجز شَعْباً قَوِيّاً عَنيداً. فإذا واجَهَتْهُم مِياهٌ ضَحْلَةٌ لا تَصْلُحُ لِمراكِبِهِمِ ٱلشِّراعِيَّةِ أو لِقَوارِبِ المحاذيفِ، جَرّوا تلك ٱلمَراكِبَ وٱلقَوارِبَ على ٱليابِسَةِ إلى أَنْ يَبْلُغوا نَهْراً آخَرَ صالِحاً. وبهٰذِهِ ٱلطَّريقَةِ وَصَلوا إلى روسْيَة ٱلتي

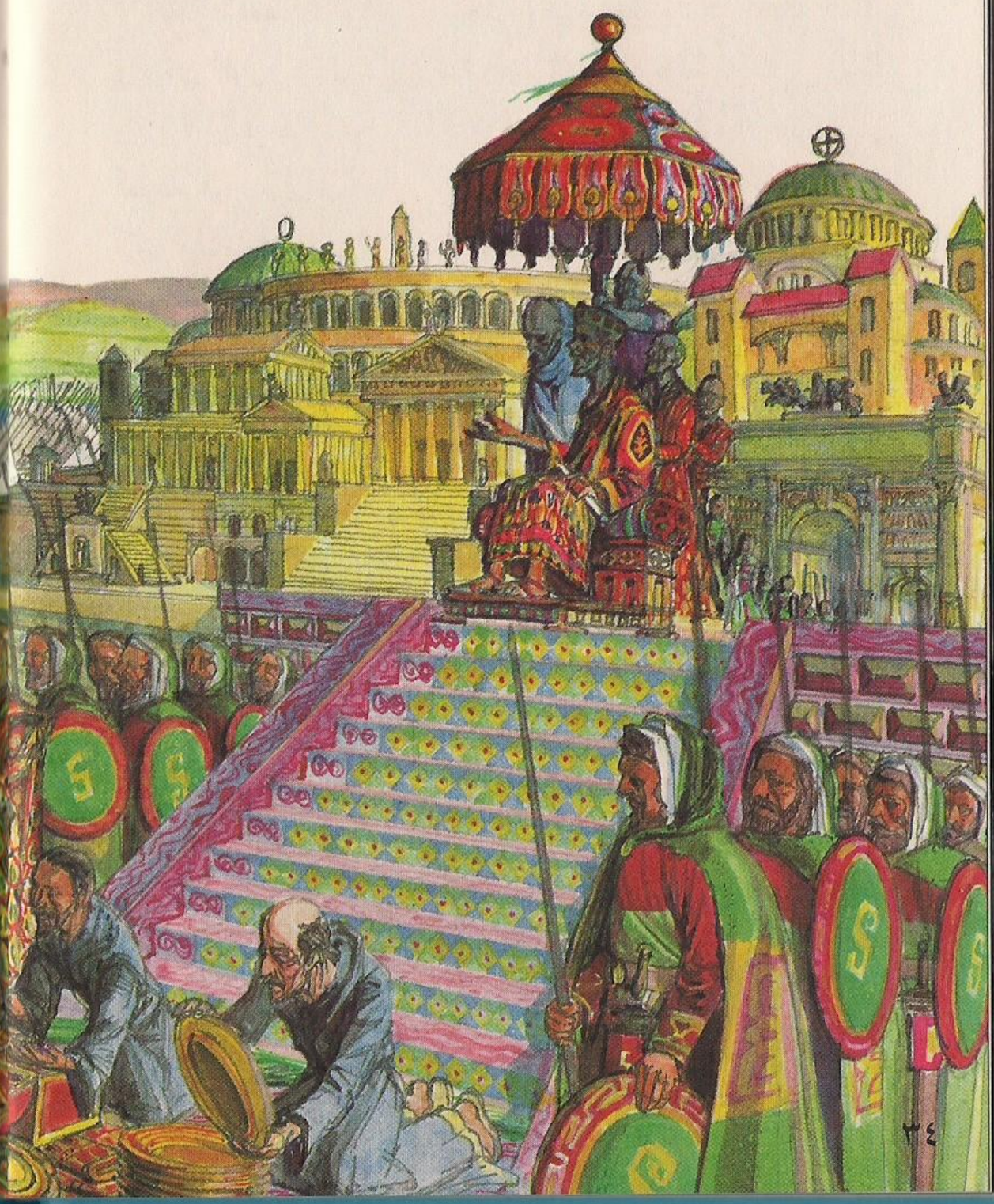

أَخَذَتِ ٱسْمَها منْهُم، لأَنَّهُم هُناكَ كانوا يُعْرَفونَ بِٱسْمِ ٱلرّوسِ. بل إنّهُم شَقّوا لهم طَريقاً إلى ٱلبَحْرِ ٱلأَسْوَدِ، وهاجَموا مَدينَةَ ٱلقُسْطَنْطينيّةِ.

أُعْجِبَ إمْبراطُور بيزَنْطَةَ في ذٰلِكَ ٱلوَقْتِ إعْجاباً شَديداً بِبَسالَةِ مُحارِبي ٱلفايْكِنْجز، وكان أَن ٱلتَحَقَ فَيْلَقٌ مِنْهُم بِجَيْشِ ٱلبيزَنْطِيّينَ لِيَكونَ حرَسَ ٱلإمْبَراطورِ ٱلخاصَّ، وصُلْبَ ٱلمُصادَمَةِ في ساحَةِ ٱلقِتالِ.

حينَ هاجَمَ ٱلفايْكِنْجز ٱلقُسْطَنْطِينيّةَ لِلْمَرَّةِ ٱلأُولى، دَفَعَ لهُم ٱلامْبراطورُ ٱلبيزَنْطِيُّ ميخائيلُ ٱلجِزْيَةَ، وَسَمَحَ لهم بِدُخُولِ ٱلمَدِينَةِ مُتاجِرينَ

على أَنَّ غاراتِ ٱلفَايْكِنْجز لم تَكُنِ ٱنْتِصاراتٍ كُلُّها ، فلقد رَدَّ العربُ هَجَماتِهِم في مِنْطَقَةِ ٱلْبَحْرِ ٱلْمُتَوَسِّطِ بِبَسالَةٍ وعُنْفٍ ، وكَبَّدوهُمْ خَسائِرَ بَشَرِيَّةً فادِحَةً ، وكذلك فَعَلَ ٱلْبُلْغارُ في شَرْقيِّ أوروبة . أَمَّا فيما عَدا ذلك فلقد وَقَفَتِ

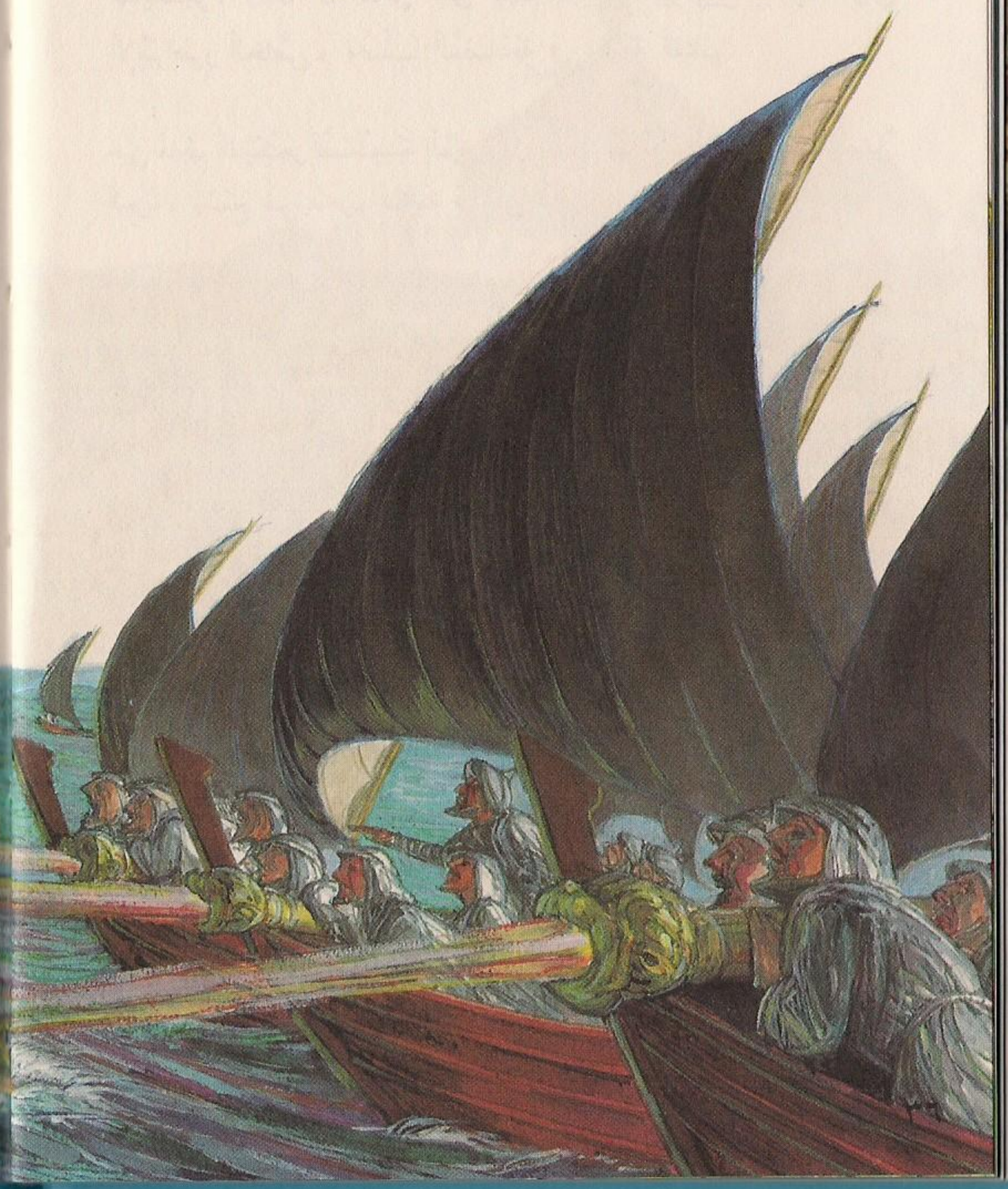

ٱلشُّعُوب عاجِزَةً أَمامَ هَجَماتِهِم ٱلضّارِيَةِ ٱلشَّرِسَةِ . وَتَتابَعَتِ ٱلسُّنونَ وتَوالَتْ معها غاراتُ ٱلْغُزاةِ عاماً بَعْدَ عامٍ حتَّى ظَنَّ كثيرونَ مِنَ ٱلنَّاسِ أَنَّ ٱللهَ غاضِبٌ عَلَيْهِم وأَنَّهُ أَرْسَلَ هَؤلاءِ ٱلْقَتَلَةَ ٱلْقُساةَ ٱلْقُلوبِ ٱلقادِمينَ مِنَ ٱلشَّمالِ ، لِيَقْتَصَّ مِنْهُم ويُعاقِبَهُمْ على عِصْيانِهِمْ إيّاهُ . ولٰكِنْ سُرْعانَ ما أَدْرَكَ ٱلاوروبيّونَ أَنّ لِزياراتِ ٱلفايْكِنْجز ٱلْمُتَكَرِّرَةِ تَفْسيراً غيرَ ذلك . لا يَشُكُّ أَحَدٌ في أَنَّ ٱلْغَنائِمَ ٱلثَّمينَةَ وحُبَّ ٱلْمُغامَرَةِ دَفَعا جَماعاتٍ مِنَ ٱلفايْكِنْجز لِلْقِيامِ بتلك ٱلغاراتِ ، إلاّ أنّ ٱلْعَديدَ ٱلْعَديدَ مِنْهُمْ كانوا يُغيرونَ بَحْثاً عن مَوْطِنٍ جَديدٍ يَسْتَقِرّونَ فيه .

اسْتَخْدَمَ ٱلْعَرَبُ في مَعارِكِهِم ٱلْبَحْرِيَّةِ معَ ٱلفايْكِنْجز ، قَريباً مِنْ شَواطِئِ ٱلأَنْدَلُسِ ، ٱلْقَذائِفَ ٱلنّارِيَّةَ ٱلّتي بَرَعُوا في تَرْكيبِها مِنَ ٱلنَّفْطِ ٱلشَّديدِ الاِحْتِراقِ ، فَهَزَمُوا ٱلْمُغيرينَ وَقَهَرُوهُم

لم تكُنِ ٱلبِلادُ الاِسْكَنْدِنافيّةُ ، كما رَأَيْنا تُوفِّرُ لأَبْنائِها حَياةً ناعِمَةً ، وما إِنْ حَلَّ ٱلقَرْنُ ٱلتّاسِعُ ٱلميلادِيُّ حتّى وَجَدَ ٱلفايْكِنْجز أَنَّ تأْمينَ مَعيشَةٍ لائِقَةٍ أَمْرٌ يزدادُ صُعُوبَةً يَوْماً بَعْدَ يَوْمٍ . وكَثُرَ ٱلتَّمَلْمُلُ بَيْنَ ٱلشُّبّانِ بِخاصَّةٍ ، بَعْدَ تَزايُدِ عَدَدِ ٱلسُّكّانِ وَصُعوبَةِ ٱسْتِغْلالِ ٱلمَزيدِ مِنَ ٱلأَراضي ٱلصّالِحَةِ لِلزِّراعَةِ . ولِذا فقد أَخَذَ ٱلفايْكِنْجز يَتَطَلَّعُونَ إلى ما وَراء ٱلبِحارِ ، إلى بِلادٍ مِثْلِ انْكِلْترة وَفَرَنْسة وأَلْمانيَة وروسْيَة ، ورَأَوا أَنَّ في تلك ٱلبِلادِ مُتَّسَعاً لهم يَسْتَوْطِنُونَ فيهِ ويُنْشِئُونَ مَزارِعَهُمْ .

ولم تَكُنْ شُعوبُ ٱلبِلادِ ٱلواقِعَةِ في ما وراء ٱلبِحارِ راضِيَةً بِحالٍ مِنَ ٱلأَحْوالِ بإقامَةِ ٱلغُرَباءِ بَيْنَها . لِذا فإِنَّ سُكّانَ جَزيرَتَي أُوركني وشِتْلانْد ، على سَبيلِ ٱلمِثالِ ، رَحَلوا عن أَرْضِهِمْ حينَ دَخَلَها ٱلغُرَباءُ ، إِذْ لم يَكُنْ عِنْدَ أولئِكَ ٱلسُّكّانِ أَدْنى رَغْبَةٍ في ٱلعَيْشِ مَعَ «لُصوصِ ٱلشَّمالِ» ، كما كانوا يَدْعُونَهُمْ .

ويَبْدُو أَنّ أَحَداً مِنَ ٱلنّاسِ لم يَكُنْ يَرْغَبُ في جيرَةِ ٱلفايْكِنْجز ، ولا عَجَبَ في ذلك فالفايْكِنْجز لم يَحْفَظوا حُرْمَةَ ٱلجارِ . وٱلذي فَعَلُوه في روسْيَة وإيرْلَنْدة وشَمالِ فَرَنْسَة وإِنْكِلْترة أَنَّهُم دَخَلُوا ٱلبِلادَ وٱسْتَوْلَوا على ٱلأَراضي ٱلتي رَغِبوا فيها وَطَرَدوا سُكّانها .

هٰذا هو ما حَدَثَ لِلْمُزارِعِينَ في المَمْلَكَتَيْنِ ٱلانكليزيَّتَيْنِ ٱلقَديمَتَيْنِ : نُورْثمبْرْلانْد ومِرْسيَة ، في ٱلسَّنَتَيْنِ ٨٧٦ و ٨٨٧ ٱلميلاديَّتَيْنِ . ويَصِفُ أَحَدُ كُتّابِ ٱلانْكليز هذا ٱلحَدَثَ في ٱلعامِ ٨٧٧ فيَقُولُ : «دَخَلَ ٱلفايْكِنْجز إلى تْشَبِنْهام خُلْسَةً فٱحْتَلّوا أَراضِيَ بِلادِ ٱلسَّكْسُونِ ٱلغَرْبِيَّة ... وشَرَّدوا جانِباً كَبيراً مِنَ ٱلسُّكّانِ عَبْرَ ٱلبَحْرِ ، وَقَهَرُوا أَكْثَرَ ٱلمُتَبَقّينَ» .

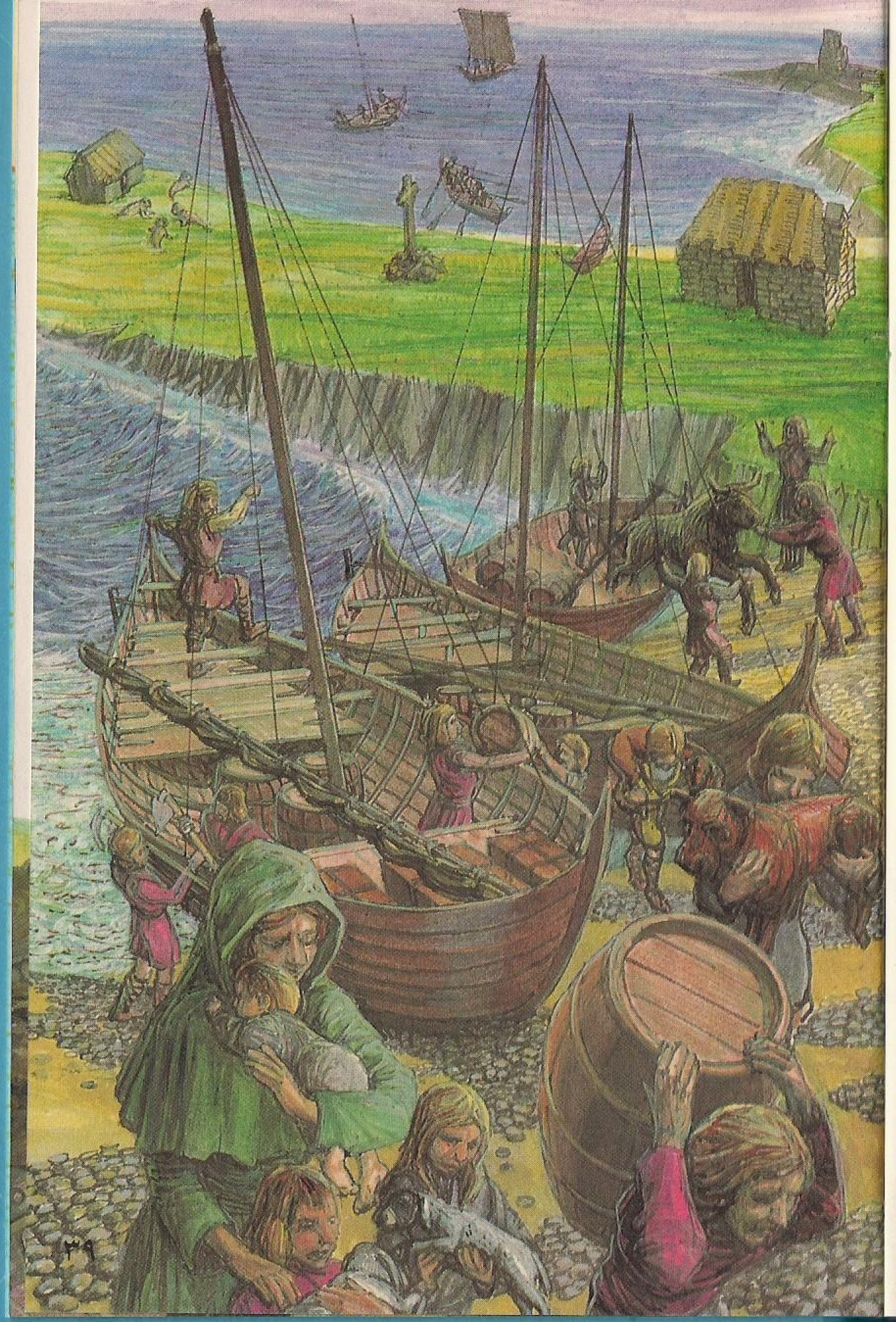

وَبَدا واضِحاً أَنَّ ٱلفايْكِنْجز يَنْوون ٱلبَقاءَ ، وفي سَبيلِ ذلكَ لَمْ يَتَرَدَّدوا في خَوْضِ ٱلقِتالِ . على أَنَّ بَعْضَ ٱلمُلوكِ قاوموا ٱلمُغيرينَ بِضَراوَةٍ ، وأَجْبَرُوهُم على ٱتِّخاذِ مَوْقِفِ ٱلدِّفاعِ ، من هٰؤلاءِ ٱلمَلِكُ أَلْفرد (٨٤٨ – ٨٩٩ ميلاديّة) مَلِكُ وِسِكْس في انْكِلْترة ، ولويس ٱلتَّقِيُّ (٧٧٨ – ٨٤٠ ميلادية) إمْبراطورُ ٱلامْبراطورِيَّةِ ٱلرّومانيّةِ ٱلمُقَدَّسَةِ في مُقاطَعَةِ ٱلفْلانْدِرْز على بَحْرِ الشَّمالِ . ولَجَأَ حُكّامٌ آخَرُون في إنْكِلْترة ٱلقَديمَةِ إلى ٱلرَّشْوَةِ لِيُقْنِعوا ٱلغُزاةَ بِالرَّحيلِ . ونَجَحَ هذا

الفايْكِنْجز يُحاصِرونَ باريس

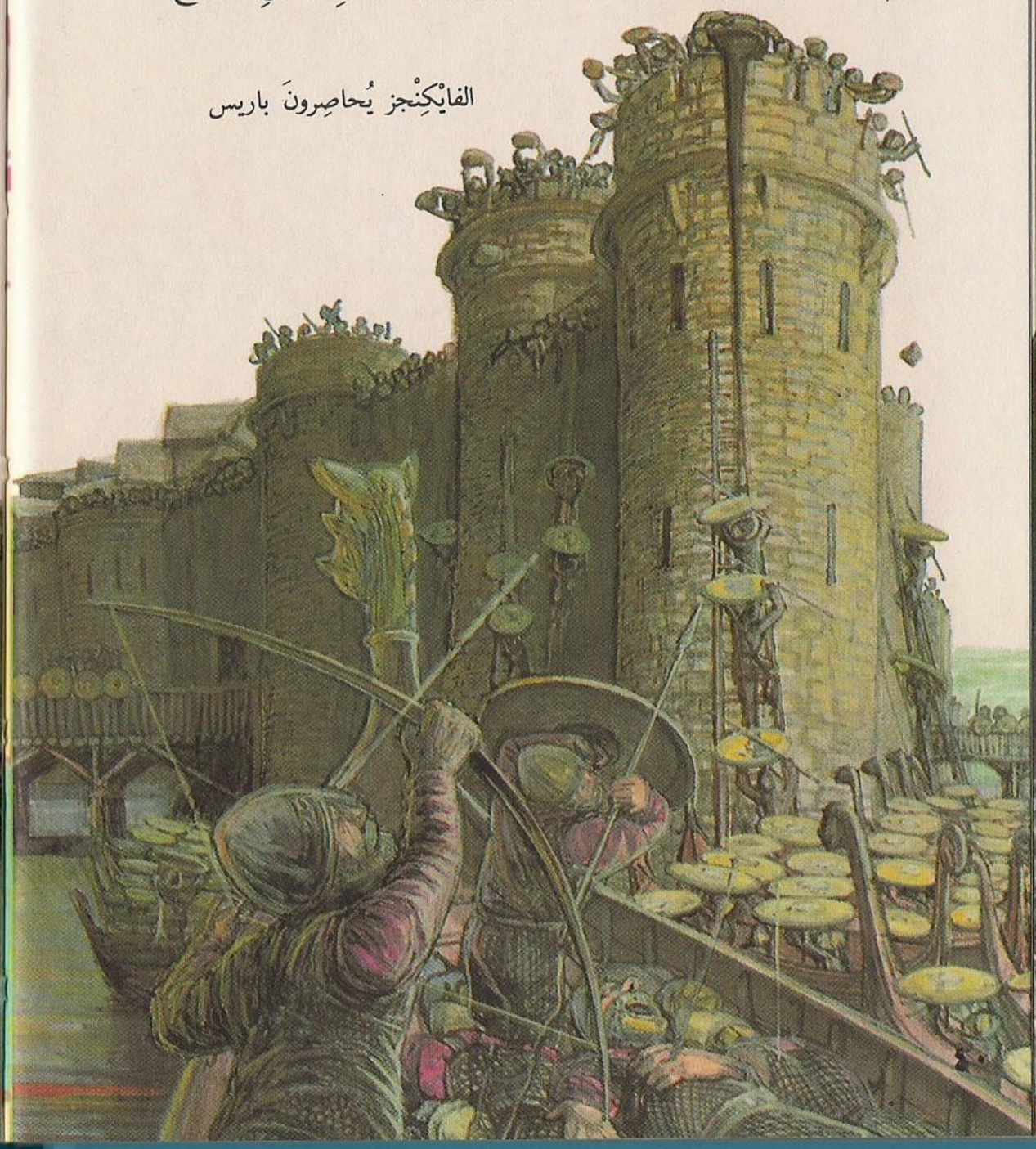

الأُسْلوبُ في إبْعادِهم ، ولو إلى حِينٍ ، إذْ سُرْعانَ ما كانوا يَعودونَ مُطالِبينَ بِالمَزيدِ . ومع ذلك فإنّ جَماعاتٍ مِنَ الفايْكِنْجز كانتْ تَرْفُضُ مُغادَرَةَ ٱلأَرْضِ ٱلتي كانَ سُكّانُها يَدْفَعونَ ٱلرَّشْوَةَ لِيَخْلُصَ لهم بَلَدُهم .

ولم تَخْتَلِف ٱلحالُ في فَرَنْسَة عَمَّا كانت عليه في إنْكلْترة ، فلقد حاصَرَ ٱلفايْكِنْجز ، على سَبيلِ ٱلمِثالِ ، مَدينَةَ باريس في ٱلسَّنَةِ ٨٤٥ ميلادِيَّة ، فَدَفَعَ لهم ٱلمَلِكُ ٱلفَرَنْسِيّ شارْل الثاني حَوالى ٣ كيلوغراماتٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ ٱلخالِصِ لِيُوقِفوا هُجُومَهُمْ . ولم يَرْحَلِ ٱلفايْكِنْجز ، بِطَبيعَةِ ٱلحالِ ، إلى غَيْرِ رَجْعَةٍ ، فَلَقَدْ عادوا ، بَعْدَ ذلك ، مَرّاتٍ إلى فَرَنْسَة في بِعْثاتِ نَهْبٍ وإغارَةٍ . على أَنَّ أَحَدَ زُعَماءِ ٱلفايكِنْجز ، وٱسْمُهُ رولو ، قَدِمَ بِجَماعَتِهِ قَبْلَ ٱلسَّنَةِ ٩١١ ميلادِيَّة وٱسْتَقَرَّ في مُقاطَعَةِ ٱلنّورْماندي . وسُرْعانَ ما ٱعْتَنَقَ رولو وَجَماعَتُهُ ٱلنَّصْرانِيَّةَ ، وقامَ أَحْفادُهُمُ ٱلنّورْمانْديّونَ في ٱلسَّنَةِ ١٠٦٦ ميلاديَّة بِغَزْوِ انْكِلْترة وٱتَّخذوها مَمْلَكَةً لهم .

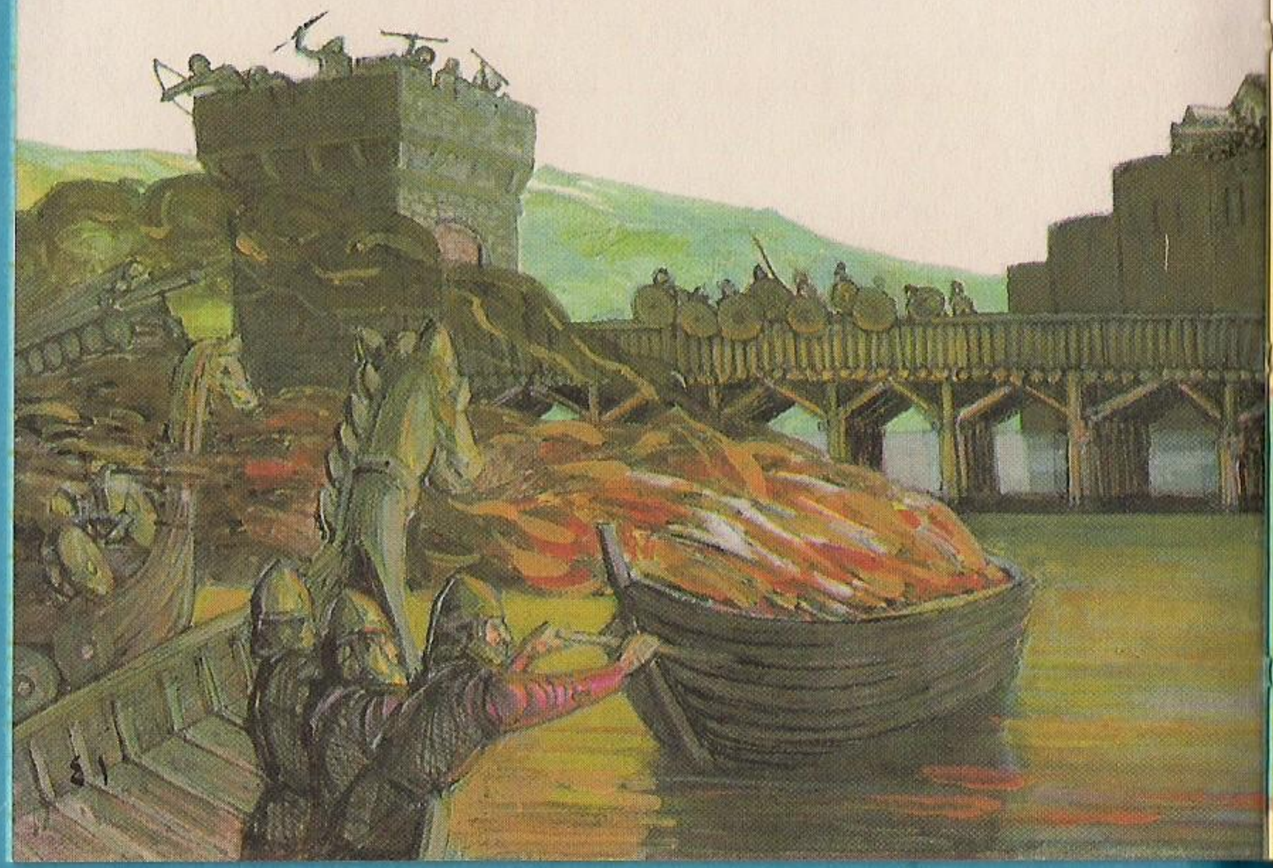

وكانَ ٱلفايْكِنْجز ٱلسُّويديّونَ ، في ذلك ٱلوَقْتِ ، قد أَقاموا مِنْ أَنْفُسِهِم حُكّاماً على روسْيَة . إذ أَصْبَحَ أَحَدُ زُعَمائِهِم ، وٱسْمُه رورِك ، في ٱلسَّنَةِ ٨٦٢ ميلاديّة ، أميراً على ٱلمُقاطَعَةِ ٱلشَّمالِيَّةِ من نوڤْجُرود . وَتَوَلّى زُعَماءُ آخَرونَ ، في ٱلنِّصْفِ ٱلأَوَّلِ مِنَ ٱلقَرْنِ ٱلعاشِرِ ٱلميلادِيِّ ، حُكْمَ مَدينَةِ كييف في ٱلجَنُوبِ . وأَطْلَقَ ٱلسُّكّانُ هُناكَ على جَماعاتِ ٱلفايْكِنْجز في مَدينَة كييف وما حَوْلَها اسْمَ ٱلرّوسِ ، ومِنْ هنا جاءَ ٱسْمُ روسْيَة لِلْبِلادِ كُلِّها .

ولم يَقْتَصِرِ ٱنْتِشارُ ٱلفايْكِنْجز ٱلذين تَركوا بلادَهُمُ الاِسْكَنْدِناڤِيَّةَ على المَناطِقِ ٱلمَأْهولَةِ . فلقد حَلُّوا في أَماكِنَ لم يَنْزِلْها ٱلأوروبيّونَ مِنْ قَبْلُ ، وأقاموا لأَنْفُسِهِمْ هُناكَ بُيوتاً . وكانَتْ إِيسْلَنْدَة ، الجَزيرَةُ ٱلبُرْكانِيَّةُ ٱلواقِعَةُ جَنوبِيّ دائِرَةِ

المُؤْتَمَرُ ٱلسَّنَوِيُّ العامُّ في جَزيرَةِ إيسْلَنْدَة يَنْعَقِدُ في سَهْلِ «مَجْلِسِ ٱلشَّعْبِ» . وقد عُرِفَ هٰذا ٱلمُؤْتَمَرُ باسْمِ «بَرْلَمانِ أوروبّة ٱلأَوَّلِ»

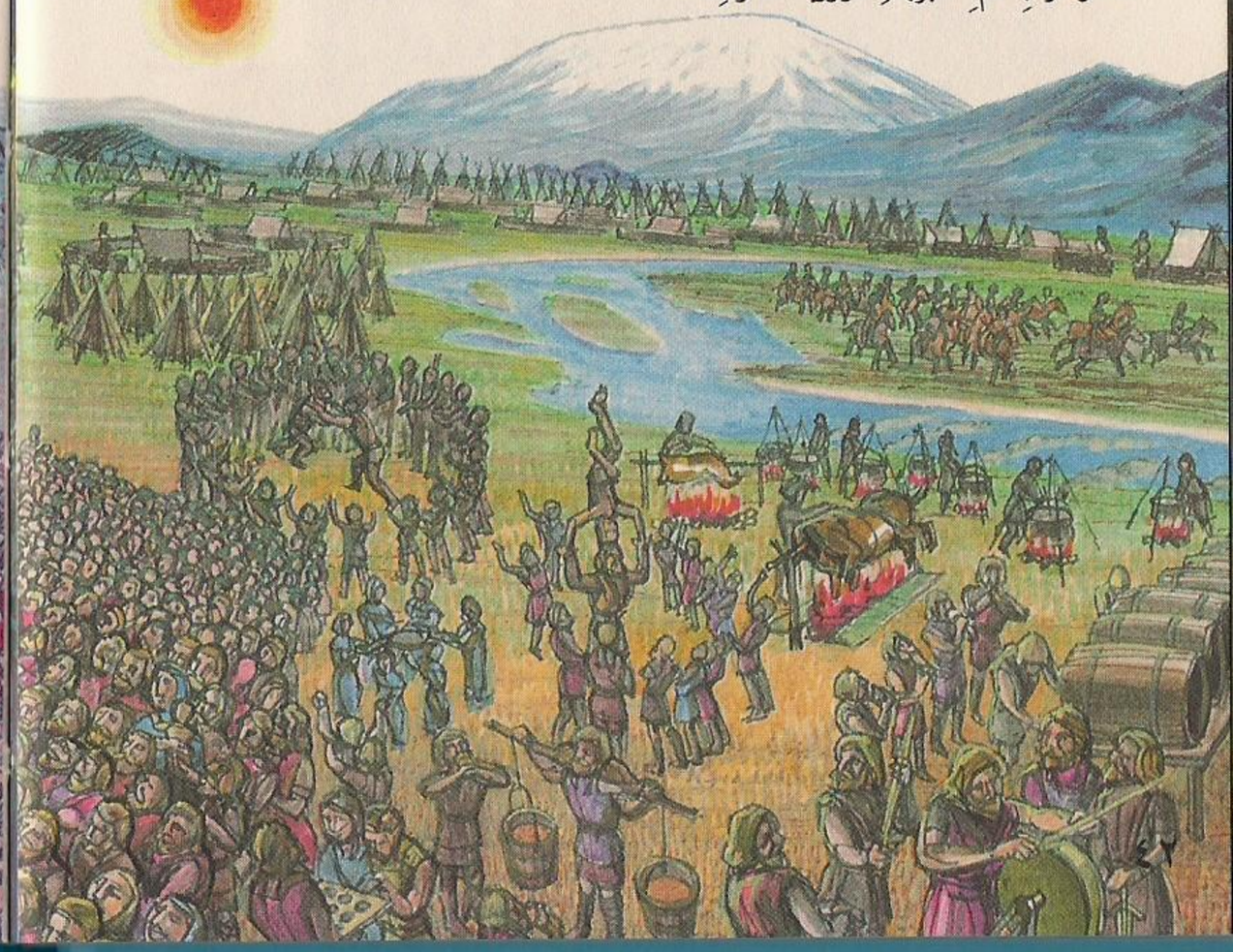

القُطْبِ ٱلشَّمالِيِّ وَقَريباً مِنْه ، أَحَدَ هٰذِهِ ٱلأَماكِنِ .

وكانَ أَوَّلَ مَنِ ٱسْتَوْطَنَ جَزيرَةَ اِيسْلَنْدَة مِنَ ٱلفايْكِنْجز زَعيمٌ نَرْويجيٌّ مِنْهُمُ ٱسْمُهُ إِنْجُلْفور آرْنَرْسُن ، وذلك في ٱلسَّنَةِ ٨٧٤ ميلادِيَّة . وسُرْعانَ ما ٱكْتَشَفَ ٱلفايْكِنْجز أنّ ٱلعَيْشَ في إِيْسْلَنْدَة لَيْسَ أَسْهَلَ مِنَ ٱلعَيْشِ في ٱسْكَنْدناڤْية ، وأنّ عليهم أَنْ يَشْقَوا بَحْثاً عن شَريطٍ مِنَ ٱلأَرْضِ الخِصْبَةِ يَصْلُحُ لإِنْتاجِ مَحاصيلِهم ورَعْيِ مَواشيهم . ولٰكِنَّ ٱلفايْكِنْجز تَحَدَّوا ٱلصُّعُوباتِ وٱلمُناخَ ٱلباردَ ٱلرَّطْبَ ٱلعاصِفَ ، وٱسْتَقَرّوا ، وأَنْشَأوا ٱلمَزارِعَ وَصَنَعُوا ٱلمَراكِبَ وَبَنَوا بُيوتَهُمْ ذاتَ ٱلجَوانِبِ ٱلخَشَبِيَّةِ وسُقوفِ ٱلطّينِ . وَبَعْدَ وَقْتٍ قَصيرٍ قَدِمَت مِنَ ٱسْكَنْدِناڤْية جَماعاتٌ أُخْرى ، حتّى بَلَغَ تَعْدادُ سُكّانِ ٱلجَزيرَةِ في ٱلسَّنَةِ ٩٣٠ ميلادِيَّة . وهي السَّنَةُ ٱلّتي أُقيمَ فيها مُؤْتَمَرُهُم ٱلسَّنَوِيُّ ٱلعامُّ ٱلأَوَّلُ هُناكَ . ١٠,٠٠٠ نَسَمَةٍ .

صَيْدُ ٱلأَيائِلِ

وَراحَ تاريخُ ٱلفايْكِنْجز يُعيدُ نَفْسَهُ بَعْدَ ذلك بعَشْرِ سَنَواتٍ إذِ ٱسْتُغِلَّتِ ٱلأَرْضُ ٱلصَّالِحَةُ لِلزِّراعَةِ في إيسْلَنْدَة ، كما ٱسْتُغِلَّتْ مِنْ قَبْلُ في ٱسْكَنْدِنافْيَة ، وَدَعَتِ ٱلحاجَةُ إلى مَزيدٍ مِنَ ٱلطَّعامِ ، فأَخَذَ نَفَرٌ مِنْ سُكّانِ إيسْلَنْدَة مِنَ ٱلفايْكِنْجز يَتَطَلَّعُونَ غَرْباً بَحْثاً عن مَوْطِنٍ جَديدٍ لهم . وكان ذلك ٱلمَوْطِنُ ٱلمَنْشُودُ بِلادَ چْرِينْلانْد ٱلتي ٱكْتَشَفَها إريك ٱلأَحْمَرُ في ٱلسَّنَةِ ٩٨٢ ميلادِيَّة . وٱرْتَحَلَ إريك ٱلأَحْمَرُ ، بَعْدَ ذلك الاكْتِشافِ بأَرْبَعِ سَنَواتٍ ، عَنْ جَزيرَةِ إيسْلَنْدَة وَتَوَجَّهَ إلى چْرِينْلانْد بِخَمْسٍ وعِشْرينَ سَفينَةً مُحَمَّلَةً بِالمُهاجرينَ . غَيْرَ أَنَّ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَفينَةً فَقَطْ وَصَلَتْ سالِمَةً إلى ٱلمَوْطِنِ ٱلجَديدِ . وأَنْشَأَ ٱلفايْكِنْجز في چْرِينْلانْد ، خِلالَ سَنَواتٍ قَليلَةٍ ، ثَلاثَمائَةِ مَزْرَعَةٍ تَضُمُّ ٱلواحِدَةُ منها حوالى عِشْرينَ بَقَرَةً وَقَطيعاً مِنَ ٱلأَغْنامِ وٱلماعِزِ . وأَمَّا مَزْرَعَةُ إريك ٱلأَحْمَرِ

ٱلكَبيرَةُ في بْراتاهِلْد فقد ضَمَّتْ أَرْبَعينَ بَقَرَةً . وكان ٱلفايْكِنْجز يُنْتجونَ كَمِيَّاتٍ كَبيرَةً مِنَ ٱلزُّبْدَةِ وٱلجُبْنِ ، كما أَنَّهُم وَجَدوا في مَوْطِنِهِمِ ٱلجَديدِ ذاكَ مَجالاً واسِعاً لِصَيْدِ ٱلأَيائِلِ والدِّبَبَةِ وٱلحيتانِ ٱلتي كانت تَزْخَرُ بها ٱلبِحارُ ، والفُقْمِ وٱلأَسْماكِ . وقد نَظَّمَ ٱلفايْكِنْجز ٱلقَوافِلَ ٱلبَحْرِيَّةَ ٱلتِّجارِيَّةَ ٱلتي كانت تُمَوِّنُ چْرِينْلانْد بِالخُبْزِ وٱلمَوادِّ ٱلأُخْرى ٱلتي يَحْتاجُها ٱلسُّكّانُ مِنَ ٱلبَلَدِ ٱلأُمِّ .

ولقدِ ٱتَّخَذَ ٱلفايْكِنْجز في نُزولِهِمِ ٱلتَّدْريجيِّ بِالمُسْتَوْطَناتِ ٱلمُخْتَلِفَةِ خَطَّ ٱتِّجاهٍ غَرْبِيّاً عَيْرَ شَمالِيّ ٱلمُحيطِ ٱلأَطْلَنْطِيِّ ، دونَ أَنْ يُخَطِّطوا لِذلك أو يَعْلَموه . إذْ نَزَلوا أَوَّلاً في جُزُرِ ٱلأوركني ثُمَّ جُزُرِ شِتْلانْد ، ثُمَّ تلا ذلك نُزولُهُم في إيسْلَنْدَة وچْرِينْلانْد . ولو أَلْقَيْنا نَظْرَةً على ٱلخارِطَةِ ، لَرَأَيْنا تلك ٱلجُزُرَ ٱلمُتَتابِعَةَ وكَأَنَّها مَحَطّاتُ تَوَقُّفٍ عَبْرَ ٱلمُحيطِ . وكانتِ ٱلمَحَطَّةُ ٱلتّالِيَةُ بَعْدَ چْرِينْلانْد في ذلك ٱلمُحيطِ قارَّةَ أميركة ٱلشَّمالِيَّة . ويَعْتَقِدُ نَفَرٌ مِنَ ٱلمُؤَرِّخينَ أَنَّ بِعْثاتِ ٱلفايْكِنْجز كانت قادِرَةً على ٱلوُصُولِ إلى هُناكَ انْطِلاقاً من چْرِينْلانْد .

وَتَرْوي مَلْحَمَةُ «أَناشيدِ چِرِينْلانْد» ٱلتي وَضَعَها ٱلفايْكِنْجز، كَيْفَ أَنَّ رَجُلاً منهم يُدْعَى بْيارْن هِرْجُلْفسون ٱكْتَشَفَ أَميركَة مُصادَفَةً في ٱلسَّنَةِ ٩٨٦ ميلادِيَّة، حينَ حَوَّلَتْهُ ٱلعَواصِفُ عن خَطِّ سَيْرِهِ في أَثْناءِ رِحْلَةٍ له بَيْنَ إيسْلَنْدَة وچِرِينْلانْد. وَتَرْوي ٱلأُنْشودَةُ كَيْفَ أُصيبَ بْيارْن بِالحَيْرَةِ والارْتِباكِ ٱلشَّديدِ حينَ شاهَدَ غاباتٍ كَثيفَةً وتِلالاً مُغَطَّاةً بِالأَشْجارِ بَدَلاً من جِبالِ چِرِينْلانْد ٱلسَّوْداءِ ٱلمُغَطّاةِ بِكُتَلِ ٱلجَليدِ ٱلمُتَأَلِّقِ. وأَغْلَبُ ٱلظَّنِّ أَنَّ ما ٱكْتَشَفَهُ بْيارْن، دونَ أَنْ يَدْرِيَ، كان شاطِئَ نْيوفاوْنْدلانْد أو شاطئ لابْرادور، وهُما اليومَ جُزْءٌ من ٱلسَّاحِلِ ٱلكَنَدِيِّ الشَّرقيّ. وقد أَبْحَرَ بْيارْن بِمُحاذاةِ ٱلشَّاطِئِ ٱلمُكْتَشَفِ بَعْضَ ٱلوَقْتِ، ثمّ ارتَدَّ شَرْقاً فَوَصَلَ الى چِرِينْلانْد.

وتَرْوي أَناشيدُ ٱلفايْكِنْجز كَيْفَ أَخَذَ سُكّانُ چِرِينْلانْد، بَعْدَ ذلك بخَمْسَةَ عَشَرَ عاماً، يُبدون ٱهْتِماماً بالِغاً بِبِلادِ بْيارْن ٱلمُغَطَّاةِ بِالأَشْجارِ. وكان سَبَبُ ذلك الاِهْتِمامِ أَنَّهُم لم يكونوا يَجِدُونَ في چِرِينْلانْد ما يَكْفي حاجَتَهم منَ ٱلأَخْشابِ لِبِناءِ بُيُوتِهِم ومَراكِبِهِم. وهٰكَذا قامَ لِيْف إِرِكْسون، ابْنُ إريك الأَحْمَرِ، بِرِحْلَةٍ في ٱلسَّنَةِ ١٠٠٢ ميلادِيَّة، لإعادَةِ ٱسْتِكْشافِ ٱلأَرْضِ ٱلتي كان بْيارْن قد ٱكْتَشَفَها مِنْ قَبْلُ، فَوَصَلَ إلى شاطِئٍ أَطَلَّ منه على أَجْمَلِ ما شاهَدَتْ عَيْناهُ مِنْ بِلادٍ. بَدَتْ تلك ٱلبِلادُ لهم وكأَنَّها ٱلفِرْدَوْسُ بِمُناخِ صَيْفِها ٱلبَديعِ، وأَعْشابِها ٱلغَنِيَّةِ، وغاباتِها ٱلكَثيفَةِ، وأَنْهارِها ٱلحافِلَةِ بِالأَسْماكِ، وكرومِها ٱلعامِرَةِ بِعناقيدِ ٱلعِنَبِ ٱللَّذيذِ. وكان مِنْ شِدَّةِ إِعْجابِ ٱلمُسْتَكْشِفِ بِهٰذِهِ ٱلكُرومِ أَنَّهُ سَمّى أميركة بِـ«بِلادِ ٱلكَرْمَةِ». وأَثارَتْ أَخْبارُ لِيْف إِرِكْسون ٱلتي حَمَلَها معه إلى چِرِينْلانْد أَعْظَمَ الاِهْتِمامِ بَيْنَ سُكّانِ ٱلجَزيرَةِ، وأرادَ ٱلكَثيرونَ منهم أَنْ يَرْتَحِلوا عن چِرِينْلانْد إلى «بِلادِ ٱلكَرْمَةِ».

بْيارْن ساعَةَ وُصُولِهِ إلى شاطِئِ أَميركة

وأَبْحَرَتْ جَماعَةُ ٱلمهاجِرينَ ٱلأولى في ٱلسَّنَةِ ١٠٠٩ ميلادِيَّة تَحْتَ إمْرَةِ ثورْفِن كارلْسِفْني. ابْتَهَجَتِ ٱلجَماعَةُ، وكانَ عَدَدُها حَوالى مائتي نَسْمَةٍ، أَوَّلَ نُزولِها في مَوْطِنِها ٱلجَديدِ، على أَنَّها سُرْعانَ ما ٱكْتَشَفَتْ أنّ «بِلاد ٱلكَرْمَةِ» فِرْدَوْسٌ صَيْفِيٌّ، أمَّا في ٱلشِّتاءِ فَتَهْبُطُ ٱلحَرارَةُ إلى ما دون ٱلصِّفْرِ بِكَثيرٍ، فَيَتَجَمَّدُ ٱلبَحْرُ وَيَتَعَذَّرُ صَيْدُ ٱلأَسْماكِ. وٱلأَدْهى من ذلك كان ٱلمَوْقِفَ ٱلعُدْوانِيَّ ٱلذي وَقَفَه ٱلسُّكّانُ ٱلأَصْلِيُّونَ من ٱلوافِدينَ ٱلجُدُدِ. فلقد قَبِلَ هٰؤلاءِ ٱلسُّكّانُ – وكانوا من شَعْبِ ٱلأَسْكيمو أو ٱلهُنودِ ٱلحُمْرِ – في بِدايةِ ٱلأَمْرِ، هدايا ٱلفايْكِنْجز مِنَ ٱلحَليبِ وٱلثِّيابِ ٱلحَمْراءِ، ولٰكِنَّهُم سُرعانَ ما راحوا يَشُنُّونَ عليهم هَجَماتٍ عَنيفَةً. وٱسْتَطاعَتِ ٱمْرَأَةٌ من ٱلفايْكِنْجز وتُدْعَى فْرايْدِس، في إحدى هٰذِهِ ٱلهَجَماتِ أنْ تُنْقِذَ جَماعَتَها من كارِثَةٍ مُحَقَّقَةٍ، إذْ راحَتْ تَزْعَقُ بِصَوْتِها ٱلعالي ٱلحادِّ وتُلَوِّحُ بِسَيْفِها تَلْويحاً عَنيفاً، فٱرْتاعَ

ٱلمُهاجِمونَ وركِبوا زَوارِقَهم وَهَرَبوا.

إلاّ أنّ ٱلفايْكِنْجز كانوا يَعْلَمونَ أنّ ٱلسُّكّان ٱلمَحَلِّيينَ، لا بُدَّ، راجعون، لذلك ركِبوا سُفُنَهم وأَبْحَرُوا عائِدِينَ إلى جْرينْلانْد.

إنّ وُصولَ ٱلفايْكِنْجز إلى أَميركة وإقامَتَهم مُسْتَعمَرَةَ «بِلادِ ٱلكَرْمَةِ» أَمْرٌ لم يَتَأَكَّدْ بَعْدُ. إلاّ أنَّ عُلَماءَ ٱلآثارِ وَجَدُوا في نْيوفاوْندلانْد، حيثُ يُظَنُّ أنّ ٱلفايْكِنْجز حَلُّوا، أَدَواتٍ ومغازِلَ وسَنادينَ تَحْمِلُ طابَعَهم.

فْرايْدِس ٱلتي أَنْقَذَتْ جَماعَةَ ٱلفايْكِنْجز

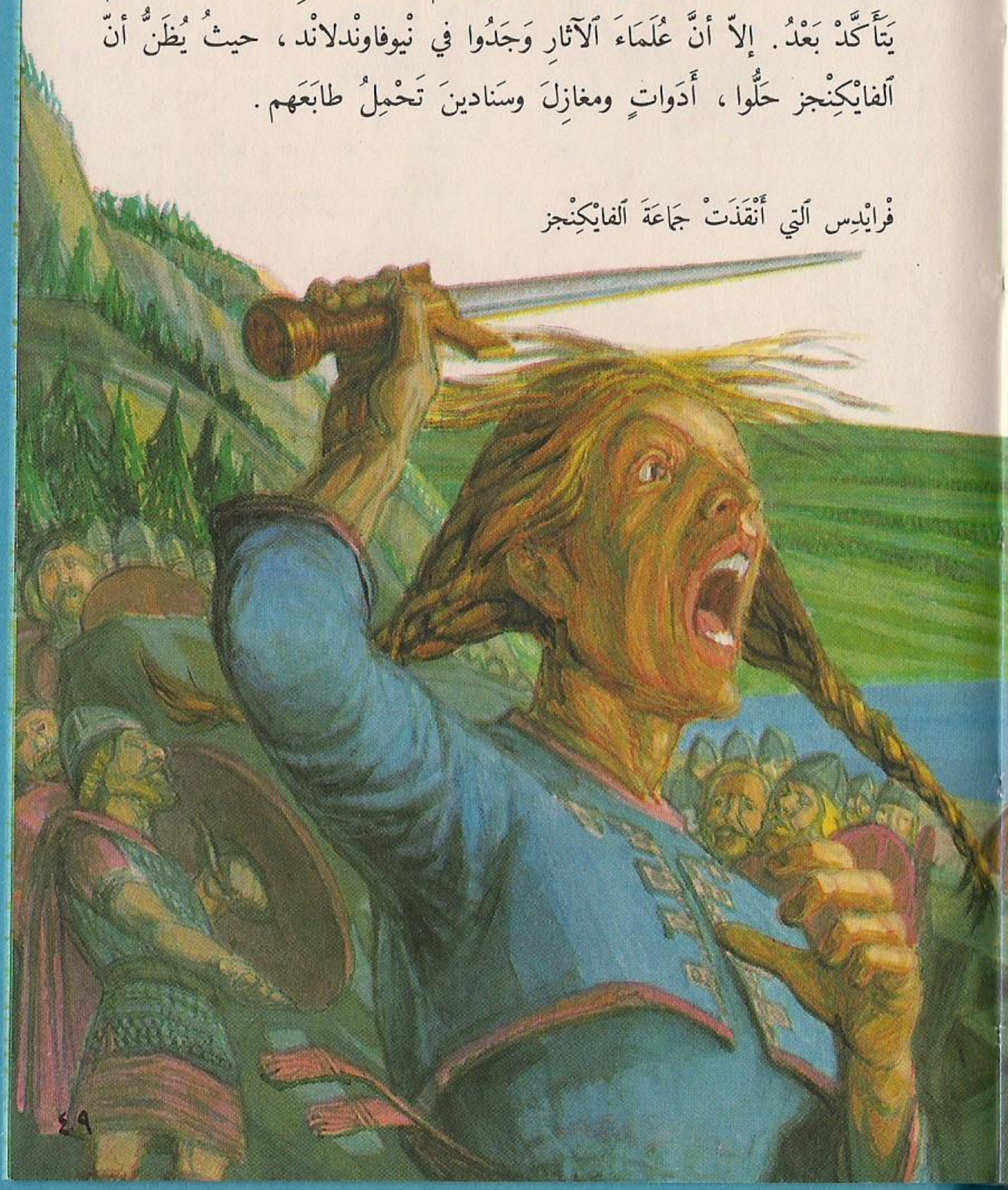

على أَنَّ ٱلفايْكِنْجز ٱلمُغيرينَ ٱلباحِثينَ عن ٱلأَرْضِ كانوا قَدِ ٱخْتَفَوا ، في مُعْظَمِهم ، في هٰذا ٱلوَقْتِ ، أَي في مَطْلَعِ ٱلقَرْنِ ٱلحادي عَشَرَ ٱلميلادِيّ . إِذْ إِنّهم ، حَيْثُما ٱستَوْطَنوا ، ذابوا في ٱلسُّكّان ٱلمَحَلّيّين وصاروا جُزْءاً منهم ، فهُمْ رُوس وَفَرَنْسِيّونَ وإنكِليز وإيطالِيّونَ وسُويديّونَ ودانِمارْكيّونَ وَنَرْويجيّونَ .

ولكِنَّهُم ، كما هي الحالُ مَعَ سائِرِ ٱلشُّعوبِ ٱلقَديمَةِ ٱلعَظيمَةِ ، تَرَكُوا لنا آثاراً تَدُلُّ عليهم . فلقد وَجَدَ عُلَماءُ ٱلآثارِ من مُخَلَّفاتِهم سُفُناً وأَدَواتٍ ومُجَوهَراتٍ وسُيوفاً ودُروعاً وخُوَذاً حَرْبِيَّةً وأَشْياءَ أُخْرى مَدْفُونَةً في ٱلأَرْضِ . ويُمْكِنُ تَتَبُّعُ آثارِ ٱلفايْكِنْجز ، كذلك ، في ٱلمُدُنِ ٱلأُوروبِيَّةِ ٱلحَديثَةِ وفي سُكّانِها أَنْفُسِهم . فَمَنْ كانَ طَويلاً مِن ٱلانكليز أَشْقَرَ ، أَزْرَقَ ٱلعَيْنَيْنِ ، وكانَ يَعيشُ في شَرْقيِّ انْكلترة أو في شَمالِها ٱلشَّرْقِيّ ، هو ، في ٱلغالِبِ ، سَليلُ أولئِكَ ٱلفايْكِنْجز . وٱلذي يَحْمِلُ من ٱلأُوروبيينَ ٱليومَ ٱسْماً مِثْلَ أورْم أو رُوسْكُو أو نَطّ أو سوْيْن ، فكذلك هو في ٱلغالِبِ سَليلُ ٱلفايْكِنْجز ٱلذين كانوا يَحْمِلُونَ مِثْلَ هٰذِهِ ٱلأَسْماءِ .

وما كان مِنْ أَسْماءِ ٱلمُدُنِ ٱلأُوروبيّةِ وقُراها مُنْتَهِياً بِالمَقْطَعِ «وِك» فهٰذا يَعْني ، في ٱلغالِبِ ، أَنَّهُ ٱسْمٌ مُتَّصِلٌ بالفايْكِنْجز ، فَلَفْظَةُ «وِك» عِنْدَهُمْ تَعْني ٱلجَدْوَلَ أو ٱلخَليجَ . وهٰكذا فَبَلدَةُ بيرْوِك ، مَثَلاً ، قد تَكُونُ مُسْتَوطَنَةً أَنْشَأَها ٱلفايْكِنْجز حَوْلَ جَدْوَلِ ماءٍ . ويُقالُ ٱلأَمْرُ نَفْسُهُ بِالنِّسْبَةِ لأَسْماءِ ٱلمُدُنِ وٱلقُرى ٱلتي تَحْمِلُ ٱلمَقْطَعَ «تُفْط» وَيَعْني عِنْدَهُم البَيْتَ ،أو ٱلمَقْطَعَ «باي» ويَعْني عِنْدَهُمْ ناحِيَةً أو مِنْطَقَةً ، أو ٱلمَقْطَعَ «قِك» وَيَتَّصِلُ عِنْدَهُمْ بِالتِّجارَةِ أو ٱلإغارَةِ .

وهٰكذا ترى أنّ ٱلفايْكِنْجز لا يَزالونَ في ٱلمَناطِقِ ٱلتي أَغاروا عليها وٱسْتَوْطَنوها ماثِلينَ بتُراثِهِمِ ٱلحَيِّ وآثارِهِمِ ٱلنّاطِقَةِ .

يَحْتَفِلُ سُكّانُ ليروك في جُزُرِ شِتْلانْد كُلَّ عامٍ بانْتِهاءِ ٱلشِّتاءِ ، فَيُحْرِقُونَ نَموذَجاً لِسَفينَةٍ طَويلَةٍ على نَمَطِ سُفُنِ ٱلفايْكِنْجز ، وهُمْ بِذلك يُحْيُونَ شَعيرَةً قَديمَةً مِنْ شَعائِرِ هٰؤلاءِ في تلك ٱلجَزيرَةِ

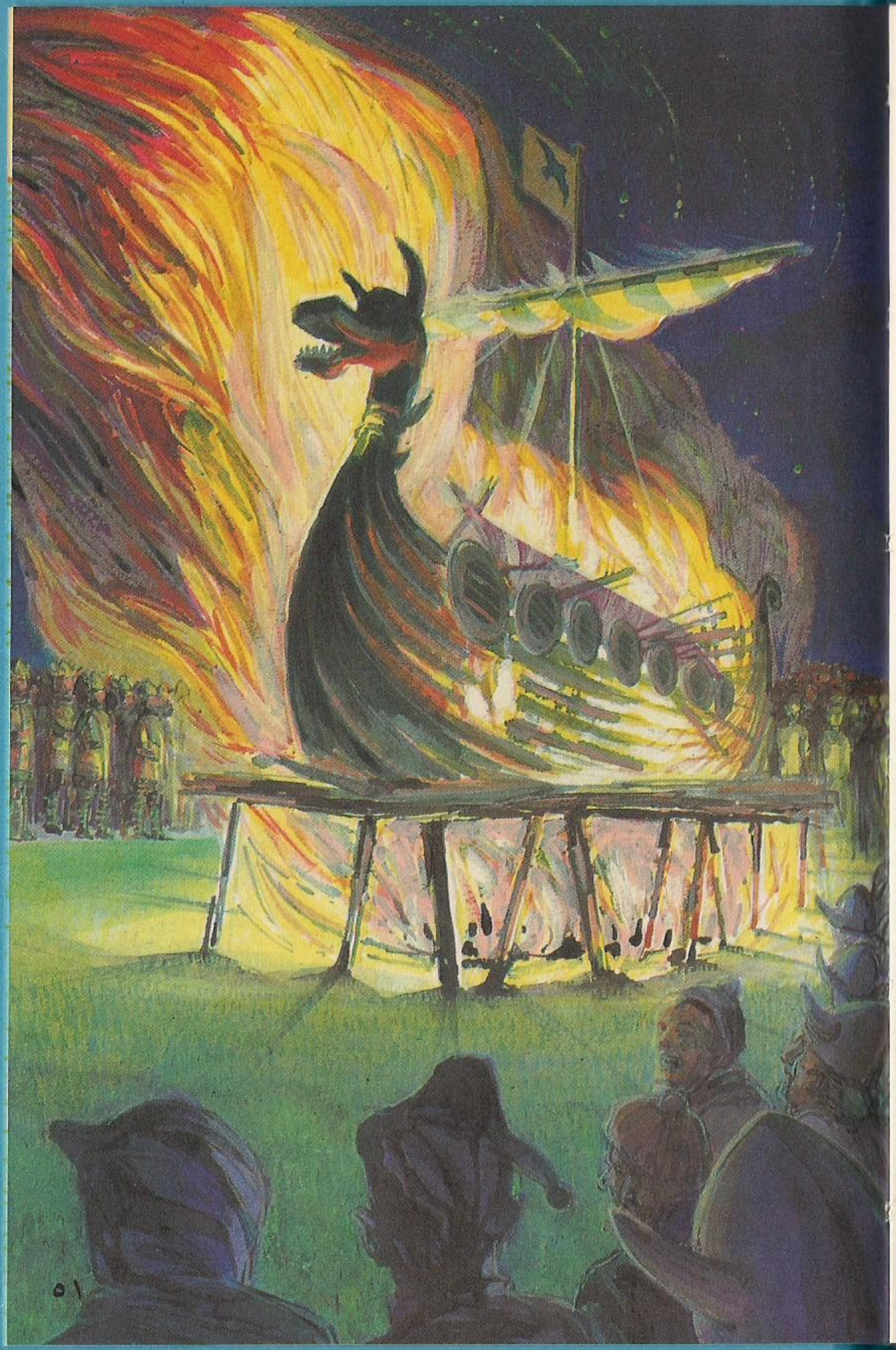

المَواطِن التي نَزلَ فيهَا القَايْكنجْز

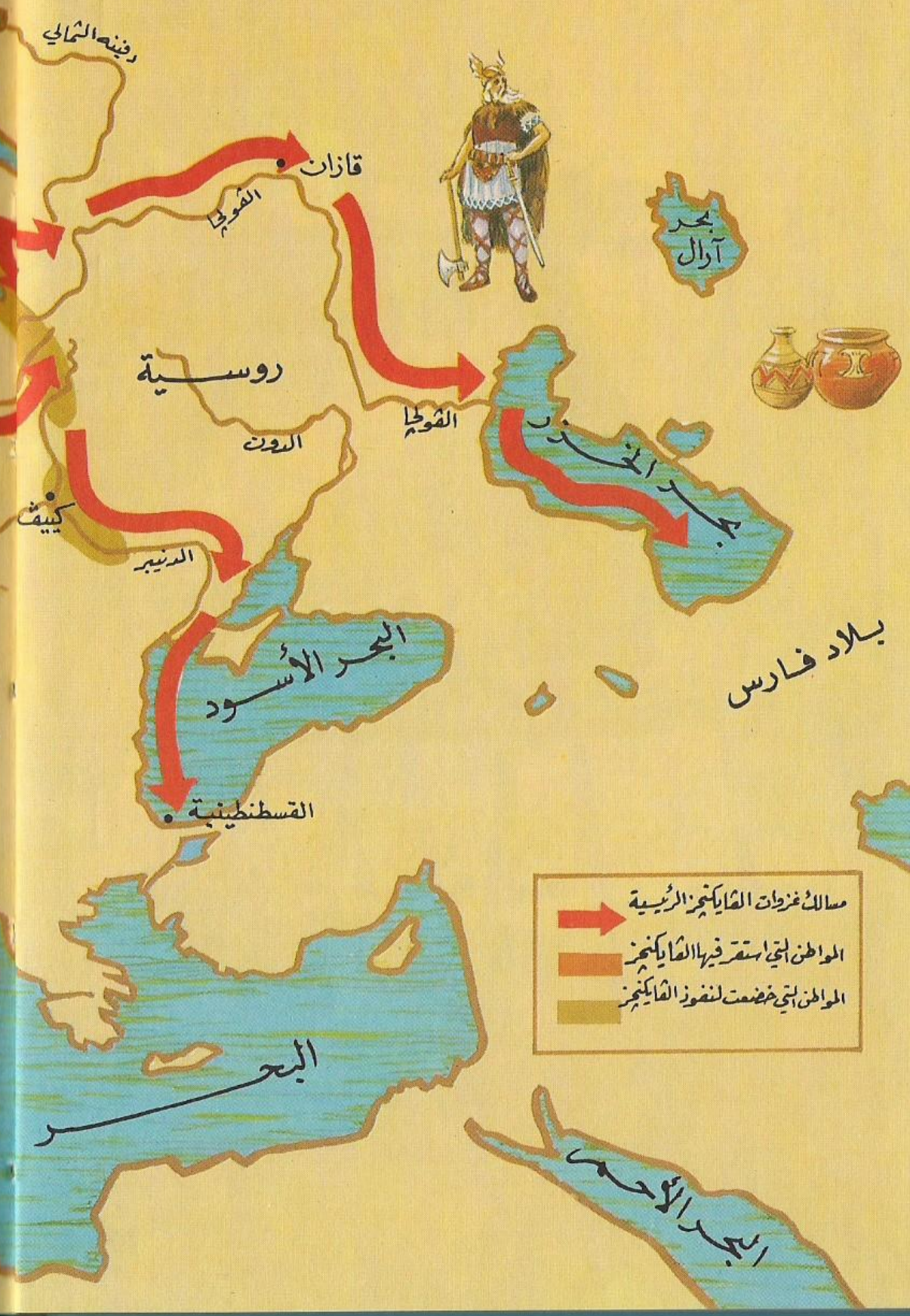

تم إعداد الرفع بواسطة

مكتبة عسكر

ask2pdf.blogspot.com